محمد فاروق الشاذلي
ڤيخينير
رواية
دار دوّن

الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm

VIGENERE

لأنه تجرأ

محمد فاروق الشاذلي: ڤيچينير ، رواية
الطبعة العربية الأولى: نوفمبر ٢٠١٤
رقم الإيداع: ١٩٥٤٤/٢٠١٤ - الترقيم الدولي: 0 - 5 - 2426 - 977 - 978
جَميـع حُـقـــوق الطبْـع والنَّشر محْـــفُوظة للناشِر
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.
© دار دَوِّنْ
عضو اتحاد الناشرين المصريين.
عضو اتحاد الناشرين العرب.
القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053
info@dardawen.com
www.Dardawen.com

محمد فاروق الشاذلي

VIGENERE

لأنه تجرأ

روايـة

إهداء

إلى أبي (رَحِمَه الله):

أستاذي ومعلِّمي، لكَم كنت أتمنى أن تقرأ هذا الكتاب، تناقشني فيه، تبدي رأيك وملاحظاتك، ثم في آخر الليل أقبِّل رأسك وأنت تدعو لي.

مُقدِّمة

اسمحوا لي أن أخبركم قِصَّة صغيرة بدلًا من المقدمة:

منذ حوالي ٢٥ عامًا كان هناك طفلٌ كذوبٌ لدرجة أرهقَتْ والداه، حاول الأب بطرق عديدة أن ينهي ابنه عن الكذب، بالتخويف من النار، بالترغيب في الجنة، بالضرب، بالحوار، محاولات عديدة باءت جميعها بالفشل، حتى ألهم الله عَزَّ وجَلَّ هذا الأب بالحلِّ السِحري. ذات مساء خرج الأب وابنه وحدهما في نزهة، طلب الأب من ابنه الكذوب أن يكتب كذباته كقِصة بدلًا من أن يَقُصَّها على الناس كحقيقة ثم يعرضها عليه، وتواعدا على أن يظَل هذا الأمر بينهما سِرًّا. بعد شهر، طالع الأب (قصص/ كذبات) ابنه، أبدى رأيه فيها وكيف يمكن أن تكون مُحكَمة أكثر، منطقية أكثر، محبوكة أكثر. كانا في كل شهر يراجعان هذه القصص تقريبًا لمدة عام حتى أقلع الابن عن الكذب. بعد سنوات توفَّى الأب محتفظًا بالسر لكنه عالج ابنه من إدمان الكذب. أعتذر أبي أني أفشيت سِرَّنا بعد هذه السنوات الطوال، فقد كنت أتمنى أن تقرأ آخر كذبة لي.

أرجوكم ادعوا لهذا الرجل العظيم.

لأنه تجرَّأ

وصـلَ عقـرب السـاعة الصغـير إلى المحطـة الثانيـة بعـد منتصـف الليـل مترنِّحًـا مـن لزوجـة الجـو الخانـق في شـهر يونيـو، قاطعًـا شـوطًا صغـيرًا مـن رحلتـه التـي لم يـدرك يومًـا متـى بـدأت أو متـى تنتهـي. نهـض «يوسـف القـاضي» عـن سريـره، نصـف عـارٍ وهـو يشـعر بثقـل في نفسـه يلقـي بروحـه في جـب مـن الاختنـاق مُجبِرًا جسـده القـوي عـلى الحركـة، ليضيـف بُعـد المكان إلى بُعـد الـروح الـذي سـيطر عـلى حياتـه الزوجيـة، تـاركًا زوجتـه «مايسـة شـهدي» ملقـاة عـلى السرير تصـارع رغبـة داخليـة في القـيء وتحـاصر دمعـات الاختنـاق التـي تكوَّنَـت في مقلتيهـا، تحـاول ألا تصـل مشـاعرها إلى زوجهـا أكثـر مـن حرصهـا عـلى قتـل أسـبابها، رضيـت أن ينمـو الروتـين في أرض الملـل فـوق جثـة مـن مشـاعر ماتـت فماتـت معهـا حياتهـا الزوجيـة.

سـار يوسـف في اتجـاه الحـمَّام بخطـوات متثاقلـة ومشـاعرٍ بـاردة وقلـبٍ ينبـض بصخـبٍ يتناسـب مـع روحـه القلقـة ومشـاعره المتناقضـة، ألقـى نظـرة عـلى مايسـة مـن فـوق كتفيـه وكأنـه يرجـو بهـا قُربًـا لم يعـد في الإمـكان تحقيقـه، هـزَّ رأسـه كمـن عـزم عـلى قـرار، ثـم اسـتكمل ابتعـاده المـادي كـما أتـمَّ المعنـوي مـن قبـل. حينـما وصـل إلى الحـمَّام، صفـق البـاب خلفـه بعصبيـة واضحـة وأودع فيـه غِـلًّا كامنًـا في نفسـه ثـم تأكَّـد مـن غلـق البـاب مـن الداخـل وكأنـما يحبـس نفسـه انفراديًـا باختيـار قـد يبـدو واعيًـا، انحنـى يبحـث عـن شيء خبـأه خلـف مقعـد الحـمَّام، ثـم أخـرج مـن كيـس أسـود شـمعتين وضعهـما بجـوار المـرآة وأشـعلهما في هـدوءٍ ظاهـرى بينـما داخلـه يشـتعل بأكثـر

مما تشتعل الشموع ونبضات قلبه تصل إلى أقصى حد كما وصل تصميمه، ألقى نظرة طويلة على صورته في المرآة يحاول اِختراق الصورة أو المرآة نفسها وكأنما يبحث في عالمها الخفي عن راحة لنفسه القلقة، كان الشخص الذي يطل عليه من المرآة معقود الحاجبين، قاسي الملامح، معذَّب الروح. أطفأ نور المصباح وعاد للنظر في المرآة على ضوء الشموع، كانت نظراته خاوية وتبدلت ملامحه من التجهم إلى التصميم. زفر بشدة حتى تراقصت ألسنة اللهب التي تتوج الشموع علّه يخرج من صدره الاضطراب والعذاب مع هذه الزفرات الملتهبة، أحنى رأسه، أغمض عينيه، بدأ يتمتم بكلمات هامسة وشفتاه ترتعشان، ودقات قلبه ترتفع.

جفون مايسة كانت تحارب النوم وتأبى الاستسلام له، بينما ذهنها يحارب أفكار تتقافز في رأسها منذ عام وتحيل حياتها جحيمًا أسوأ من جحيم دانتي(*)، تحاملت على نفسها حتى نهضت من السرير واتجهت نحو النافذة نصف المغلقة نصف المفتوحة ككل شيء في حياتها، فعلاقتها بزوجها نصف ناجحة نصف فاشلة، لديها نصف رغبة في الإنجاب ونصف رغبة في عدم الإنجاب، مشاعرها

(*) الجحيم: هي الجزء الأول من القصيدة الملحمية الكوميدية الإلهية، التي ألفها دانتي أليجيري في القرن الرابع عشر ويرى الكثيرون أنها من أفضل الأعمال الأدبية في الأدب على المستوى العالمي، تلقي الملحمة الشعرية نظرة خيالية بالاستعانة بالعناصر المجازية لوصف الجحيم في الآخرة.

تتأرجح بين نصف حب ونصف كراهية، نصف سعادة ونصف شقاء. جالت برأسها فكرة أنها رُبَّما يوم البعث ستكون على جبل الأعراف - هؤلاء الذين لن يكونوا بين أهل الجَنَّة ولا بين أهل النار- نصف منعمين نصف معذبين، فمِن المؤكَّد أن حياتنا المؤقتة على الأرض ما هي إلا مؤشر لِما ستكون عليه حياتنا الخالدة في الآخرة. سرحت مع أفكارها كثيرًا بينما نسمات شحيحة بدأت في المرور أمام النافذة، ظهرت علاماتها مع تحرُّك أوراق الشجر، لكنها أبت الدخول إلى الحجرة المكتومة بأنفاس معذبة، تابعت عقارب الساعة رحلتها الأبدية لنصف دورة أخرى قبل أن تنتبه مايسة لغياب يوسف الذي طال خلف الباب المغلق. اتجهت نحو باب الحمَّام متسائلة عن سبب تأخُّره، ورغم ذلك طرقت الباب بملل وكأنها تؤدي واجبًا:

- يوسف.. هل أنت بخير؟

لم تتلقَ أي إجابة، أعادت الطرق على الباب بقوة أكبر:

- هل نمت بالداخل؟

- .....

حاولتْ فتح الباب فلم يستجِب، كررت المحاولة دون جدوى، مما جعل التوتر يحتل عقلها في سرعة وعنف

جيوش التتار والقلق ينهش خلايا مخها كضبعٍ جائع في غابة جدباء تحصَل أخيرًا على وجبة دسمة، أعادت طرق الباب بقوة أكبر وعصبية أشد بيد والأخرى لا تكف عن مصارعة المقبض عَلَّه يستجيب وينفتح، صوتها يتردد في أنحاء الشقة الخالية:

- يوسف.. يوسف.. أجِبني أرجوك.

هرولت نحو باب الشقة في نفس اللحظة التي وُلِدَت فيها دموع غزيرة في مقلتيها حجبت كثيرًا من الرؤية وانسابت في سرعة على خديها كانسياب الشلال، فتحت الباب وهرعت إلى السلم وأخذت تنادي البواب بصوتٍ مرتجف:

- ((عبد الصمد)).. عم عبد الصمد.

أجابها عبد الصمد والدهشة تملأ نبراته وتعربد في لهجته الصعيدية:

- نعم يا ست مايسة؟

- تعالَ بسرعة.

هرولتْ من جديد إلى الداخل وعادت لتطرق الباب وتنادي زوجها بصوتٍ استولى عليه الانهيار بسهولة. رغم سنواته الستين وجسده الذي أضعفه الفقر والمرض- مشاركًا في ذلك أغلب أبناء الصعيد وربما أغلب أبناء

مـصر- وصـلَ عبـد الصمـد إلى بـاب الشـقة مهـروِلًا عـلى السـلم بـدلًا مـن اسـتخدام المصعـد لمـا لمسـه مـن قلـقٍ في صـوت السـيدة مايسـة ومندهشًـا مـن وقـت الاسـتدعاء الغريـب، تنحنـح معلِنًـا عـن قدومـه فبادرتـه والقلـق مـازال ضيفًـا عـلى عقلهـا:

- عبـد الصمـد.. يوسـف دخـل إلى الحـمَّام وأغلقـه مـن الداخـل ولا يجيـب، حـاوِل أن تحـضر نجَّـارًا لكـسر البـاب.. بسرعـة.

هـزَّ عبـد الصمـد رأسـه علامـة الفهـم، وبـدأ فعليًـا في التحـرُّك نحـو السـلم وهـو يقـول:

- حـالًا.. سـأذهب لمنـزل الأسـطى حسـن النجـار وأوقظه وآتي بـه عـلى الفـور.

أتمَّـت عقـارب السـاعة نصفًـا آخـر مـن دورتهـا الأبديـة فظهـر عبـد الصمـد وبصحبتـه الأسطيحسـن النجـار وهـو يحمـل حقيبـة أدواتـه. تقدمـا نحـو الداخـل عـلى الفـور، كان اليـأس يحتـل ملامـح مايسـة وأثقـل عليهـا القلـق حتـى أجلسـها عـلى الأرض تسـتند بظهرهـا على بـاب الحـمَّام ومازال صوتهـا يجاهـد ليبقـى مناديًـا يوسـف مـن خلـف البـاب. بـدأ حسـن النجـار عملـه في سرعـة بعـد أن سـاعد عبـد الصمـد السـيدة مايسـة لتبتعـد عـن البـاب. مـا إن أنهـى النجـار عملـه

وأصدر الباب صوتًا يعلن به عودته للعمل من جديد حتى دبت الحياة مَرَّة أخرى في جسد مايسة واندفعت نحو الباب لتفتحه، كان الحمَّام مظلِمًا إلا من شعاع ضوء صغير يجاهد حتى لا يدخل من فتحات الشباك الحديدي رافضًا أن يشارك أرواح سكان الشقة محبسها في هذا المكان. جالت بنظراتها اليائسة في جنبات الحمَّام، لكن يوسف لم يكن موجودًا. أضاءت النور بيد مضطربة فلم ترَ سوى بقايا شموع محترقة على جانبي المرآة، في حين غزت عينيها عبارة (لأنه تجرَّأ) مكتوبة بالدماء بأيدٍ مرتعشة على مرآة الحمَّام وتسكن تحتها الأرقام التالية (٢٤/ ٦/ ١١). ما إن شاهدت مايسة هذا المنظر حتى اشتعل بداخلها خوفٌ لم تتمكن من السيطرة عليه، ونما إحساسٌ بالذنب على جنبات نفسها يرويه الندم ثم سقطت مغشيًا عليها بعد أن أنهكتها مشاعرها وعذاباتها.

* * *

المعاينة

وقف عبد الصمد البواب يبسمل(*) ويحوقل(*) داخل شقة السيد يوسف القاضي أثناء وجود النقيب «عمر السيد» ضابط المباحث لإجراء معاينة للشقة، بعد أن أبلغ عبد الصمد عن واقعة اختفاء يوسف وإغماء زوجته ونقلها للمستشفى للعلاج. جال نقيب عمر ببصره في جنبات الحمَّام وتفحص جيِّدًا الشباك الحديدي الموجود على نافذة الحمَّام وتأكد بنفسه من متانة التركيب مما يحول دون التفكير في احتمال خروج يوسف من الشباك، التقطت عيناه طلاء الشباك الحديدي الذي كانت رائحته تفضح حداثته، أخرج مفاتيحه وقام بتقشير جزءٍ من الطلاء وتأكد أنه مازال حديثًا، تأمل الجملة المكتوبة على المرآة وقد تجلطت الدماء التي كُتِبَت بها، وماتت الشموع على جانبي المرآة من الاحتراق، تلك التي كانت الشاهد الوحيد على ما حدث هنا. استأذنه أحد رجال المعمل الجنائي لرفع البصمات من فوق المرآة، فأفسح له الطريق وخرج لمعاينة باقي الشقة، لم يلحظ أي علامات لصراع بين أشخاص، كما بدا له كل شيء في مكانه بشكلٍ لا يوحي بأية سرقة حدثت في المكان، اتصل برئيسه في القسم وأبلغه بتفاصيل المعاينة ومطابقتها لبلاغ عبد الصمد البواب الذي يقف خلفه مرتجفًا من الرعب منذ رآه لأول مَرَّة من عدة ساعات عندما دخل إلى القسم لاهثًا للإبلاغ عن اختفاء يوسف بتلك الطريقة المريبة،

(*) يبسمل: أي يقول بسم الله الرحمن الرحيم.

(*) يحوقل: أي يقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

ما زال يرتدي نفس الجلباب الصعيدي - الذي يشي بحالته الفقيرة - وتلك العمامة البيضاء الملفوفة حول الطاقية الصوف التي توضح إصراره على تمسُّكه بعادات الجنوب. لم يصدق نقيب عمر في البداية البلاغ الذي تقدم به عبد الصمد البواب وكاد يطرده من القسم وجال بخاطره أنه مجنون أو أن المخدرات لعبت بعقله حتى فقده، شيءٌ واحد جعله يستمع لأقوال عبد الصمد وهو حالة الرعب البادية على وجهه والتي تنبئ بصدق مخبره، كان أيضًا على وشك إخباره أن القاعدة القانونية تقتضي عدم جواز الإبلاغ عن المفقودين إلا بعد أربع وعشرين ساعة من واقعة الإختفاء، لكنه اشتم بحسه الأمني أن وراء الأمر جريمة تلوح في الأفق، عرض المحضر على رئيسه الرائد «هشام الصيرفي» معاون مباحث القسم الذي أبلغ النيابة العامة والمعمل الجنائي، وأمره بمصاحبتهم للمعاينة.

* * *

مايسة شهدي

كانت مايسة مستلقية على سرير المستشفى مشوشة الذهن، خائرة القوى مما حدث، ترتسم علامات الخوف على ملامحها، تتطلع بنظرها نحو النافذة وكأنما تلتمس من النور القادم من النافذة نور الحقيقة كي تهزم الظلام الذي أحاط عقلها منذ ليلة أمس، لكن هذا النور لم يفلح سوى في جذب ذكرى عجيبة لم يمر عليها سوى شهر واحد، حين كانت تقرأ كتابًا بعنوان «أساطير المرايا» وبه فصل كامل عن حوادث اختفاء عبر المرايا، تلك الذكرى هي ما تسببت في فقدانها الوعي؛ لأنها حينما رأت الشموع المحترقة في الحمام على جانبي المرآة احتلت ذهنها أسطورة (ماري الدموية)، ذكرى أشعلت في نفسها الخوف، الشعور بالذنب. شردت مايسة في ذكرياتها مع ماري الدموية، لكن قتلَ شرودها طرقات على باب حجرتها، نقلت بصرها من النافذة إلى الباب عبر الغرفة البيضاء، قبل أن تأذن للطارق بالدخول، انفتح الباب ودلف منه رجلٌ يرتدي بدلة مهندمة ذو جسد كان من رعايا مملكة الرياضة فيما مضى، تبدو عليه علامات الصرامة والجدية، معقود الحاجبين متجهم الوجه بلا سبب، خطوته تدب الأرض بثقة واعتداد ويتبعه عسكري يحمل أوراقًا، نظر إليها الرجل الأول في هدوء دون أن تعطي ملامحه أي تعبير، كانت نظراتها متسائلة فبادرها قائلًا:

- رائد/ هشام الصيرفي معاون مباحث قسم شرطة الأهرام.

أجابتْه في وهنٍ:

- أهلًا وسهلًا.. تفضل.

اعتدلت في جلستها بصعوبة، تأملها- كانت في السنوات الأولى من العقد الرابع، متوسطة الطول، بيضاء البشرة، سوداء الشعر، تبدو بشرتها شاحبة بعض الشيء- جلس على مقعدٍ قريب:

- إذا لم تمانعي، لدي بعض الأسئلة عن واقعة إختفاء زوجكِ فجر اليوم.

- تفضل.. سَلْ ما شئت.

في لهجة رسمية جادة تخلو من أي مشاعر وبلا انطباعات مسبقة شرع في فتح تحقيق رسمي معها:

- اسمك / سنك / عنوانك / وظيفتك..

- مايسة شهدي عبد الرحمن/ ٣٣ سنة / ٩ شارع المستشفى الهرم / ربة منزل.

- ما هو قولكِ فيما أفاد به حارس العقار عبد الصمد حماد السبع بشأن اختفاء زوجك السيد/ يوسف القاضي فجر اليوم السبت الموافق ١٨/ ٦/ ٢٠١١؟

تحكَّم الوهن والخوف في أحبالها الصوتية وهي تجيب:

- ما حدث أنه حوالي الساعة الثانية صباحًا، قام زوجي من الفراش لاستعمال الحمَّام، ولكنه تأخر فقلقت وذهبت لِلاطمئنان عليه. طرقت الباب عدة مَرَّات فلم يجِب وقد

حاولتُ فتْح الباب أكثر من مَرَّة لكنه كان مغلقًا من الداخل، تملكني الخوف وناديت البواب لإحضار النجار لكسر الباب.

- هل كنتِ مستيقظة في هذا الوقت المتأخِّر؟ أم أنك انتبهت من النوم عندما شعرت بعدم وجود زوجك في السرير؟

- كنا مستيقظين نتحدث حديثًا عاديًا عمَّا مَرَّ علينا من أحداث اليوم.

- معنى ذلك أنكِ متأكدة من دخول زوجك للحمَّام بالفعل.

- متأكدة، فقد سمعت صوت دخوله الحمام وإغلاق الباب من الداخل بعد ذلك؟

- ماذا حدثَ في الفترة ما بين ذهاب البواب وحتى عودته مع النجار؟

- كنت أحاول الطرْق على الباب بشدة، رُبَّما كان يوسف مصابًا بحالة إغماء وأستطيع تنبيهه بهذا الطَّرْق.

تسلل الامتعاض إلى صوته لكنه حافظ ألا يصل لملامحه:

- تحاولين الطَّرقَ على الباب؟ إمَّا إنك طرقتِ الباب وإمَّا لا، فما معنى «كنتُ أحاول الطَّرْق على الباب»؟

أجابته في ضجر واضح رغم ضعفها البادي على ملامحها وصوتها والخوف النامي بداخلها:

- لقد كنت في حالة من الخوف الشديد على زوجي، وكانت قواي منهارة، ولم أكن قادرة على الطرق فعلًا، لهذا كنت أحاول بين وقت وآخر أن أطرق الباب أو أنادي على زوجي عَلَّه يفيق من إغمائته.

عادت اللهجة الرسمية الجادة الخالية من أي تعبير للظهور في صوته ومشاعره من جديد:

- هل سبق لزوجكِ أن أصيب بأي حالات إغماء سابقة؟

- لا.

- هل يعاني زوجكِ من أي أمراض قد يكون من أعراضها تعرُّضه لحالات إغماء؟

- حالة زوجي الصحية على ما يرام، ولا يعاني من أي أمراض قد تعرضه لحالات إغماء، وذلك على حَدِ علمي.

بدا وكأن إجابتها استفزته وأشعلت داخله تحفُّزًا فسألها في حِدَّة:

- ما الذي تعنيه كلمة (على حد علمي)؟

تراجعتْ قليلًا للخلف بمشاعر تتأرجح بين التردُّد والخوف والألم:

- زوجي من النوع الكتوم في الغالب ولا يحبِّذ الإفصاح عن مشاكله، وأظن لو أنه مصاب بمرضٍ ما، خاصة لو كان خطيرًا فقد يخفي عَنِّي ذلك لطبيعته الكتومة من ناحية، ولكي لا يثير قلقي عليه من ناحية أخرى.

- إذًا ما الذي جعلكِ تفترضين تعرُّضه لحالة إغماء في الحمَّام؟

- هذا هو الخاطر الوحيد الذي جال بعقلي في هذا الوقت.

- لوحِظ أثناء المعاينة وجود شباك حديدي على نافذة الحمَّام، بالإضافة إلى أن الباب كان مغلقًا من الداخل طِبقًا لإفادتك وشهادة البواب، فكيف يمكن أن يخرج زوجك من الحمَّام؟

- لا أعلم ولهذا بلَّغنا باختفائه.

- لماذا يوجد طلاء حديث حول الشباك الحديد؟

- لأننا قمنا بتركيب هذا الشباك صباح يوم الواقعة.

- وما سبب تركيبه؟

- رغبة يوسف، لأننا نسكن في الدور الأخير وكان يخشى من اللصوص، خاصة مع وجود مبالغ مالية كبيرة في المنزل لزوم عمله بالتجارة بالإضافة للوضع الأمني المتدهور بعد الثورة.

هزَّ رأسه في تفهُّم وبدت على وجهه ثواني من التغيُّر حينما ذكرت الوضع الأمني المتدهور لكنه استطاع السيطرة على ملامحه ومشاعره من جديد، سحبَ نفسًا عميقًا وزفره بقوة وكأنما يُخرِج معه ما عكَّر صفوه منذ ثوان:

- ما هو شكل العلاقة بينكما؟

- العلاقة بيننا عادية تمامًا.

- هل هناك بينكما أي مشكلات زوجية؟

- نحن أسرة طبيعية بها ما بكل الأسر المصرية من حياة ما بين الصفاء أحيانًا وبعض المشكلات أحيانًا أخرى.

- من فضلكِ أجيبي على السؤال بوضوح «هل بينكما أي مشكلات زوجية؟»

- أحيانًا يحدث بيننا شجار بسيط لكنه على فترات متباعدة، وفي العموم حياتنا الزوجية سعيدة لاتنغصها أي مشكلات قد تدفعه للهرب أو الإنتحار كما لايوجد هذ النوع من الخلافات التي قد تدفعني لقتل زوجي إذا كان هذا ما تلمِّح إليه.

- هل يوجد أي مشكلات في عمل المُبلَّغ باختفائه؟

ضايقها أنه لم يلفظ اسم زوجها واكتفى بالإشارة إليه بعبارة (المُبلَّغ باختفائه) وشعرت وكأن هذا الضابط يتعامل بشأن زوجها وكأنه مجرَّد قضية وليس لأنه إنسان، لكنها جاوبته في هدوءٍ قدر استطاعتها:

- لا أعلم فما كان يطلعني على تفاصيل عمله، وإن كنت أظن أن عمله مستقر ولايعاني مشكلاتٍ من النوع الذي قد يدفعه للهرب.

انحنى بجسده للأمام واقترب بوجهه منها وفي لهجة مستفزة:

- ما الذي جعلَكِ تظنين هذا؟

- لأنه غالبًا يحضر إلى المنزل وبحوزته مبالغ مالية كبيرة، وأظن لو أن هناك مشكلات في العمل لم يكن ليستطيع رِبح مثل هذه المبالغ.

- هل يوجد أي شيء اختفى من الشقة؟

- لا أعرف تحديدًا، فبعد أن اكتشفت اختفاء زوجي، سقطتُ مغشيًا عليَّ كما قلتُ من قبل، ولا أعرف إن كان هناك أي شيء قد اختفى من الشقة أم لا، وإن كنت لا أعتقد ذلك.

- ما الذي يجعلك ترجحين عدم اختفاء أي شيء من الشقة؟

- لأنني فهمت من السؤال أن يكون سبب اختفاء زوجي هو محاولة سرقة من الشقة، وأن يكون زوجي اكتشف وجود اللصوص ودار بينهم قتالًا ومشادة ما أدت إلى خطفه أو قتله وإخفاء جثته مثلًا وإلا لكنت سمعت صوت الشجار على الأقل، لكني أؤكد أنه لم يكن أحد غيرنا بالشقة قبل اختفاء زوجي.

تنهد الرائد هشام وقال في نفاذ صبر واضح:

- هل تدركين أن إجابتكِ هذه تجعلك المشتبه به الوحيد في هذه القضية، وأنك قد تكونين السبب وراء اختفاء زوجك؟

عربد الغضب على ملامحها واحتل صوتها وهي تعتدل لتجيبه:

- من فضلك، أنا أرفض هذا الاتهام، وأؤكد أنه ما من سبب يجعلني أتخلص من زوجي، وأنفي تمامًا وجود أي صلة بيني وبين هذه الواقعة، كما...

- لماذا صمَتِّ؟

تنهدت:

- كنت أتمنى أن تراعي مصابي في زوجي أثناء سؤالك.

تراقص شبح ابتسامة واهنة على جانب شفتيه ثم تبخر في سرعة الضوء:

- هل كان التيار الكهربائي مقطوعًا لحظة استخدام زوجك للحمَّام؟

- لا، التيار الكهربي نادرا ما ينقطع عن حينا.

- إذًا ما هو تفسيرك بشأن وجود شموع محترقة على جانبي المرآة، وكذلك جملة (لأنه تجرَّأ) المكتوبة بالدماء على مرآة الحمَّام؟

بدا الفزع على وجه مايسة وانتفضت جالسة في سريرها وهي تردد كما لو كانت تحادث نفسها:

- لست متأكدة.. لكنني منذ شهر تقريبًا كنت أقرأ كتابًا عنوانه (أساطير المرايا) يحتوي على حوادث اختفاء عبر المرآة.

كانت الدهشة واضحة في صوت هشام:

- هل يمكن أن تكوني أكثر وضوحًا؟

أجابته وشيء من الشرود يتراقص في عينيها:

- الأمر باختصار أن الكتاب يتحدث عن الأساطير المتعلِّقة بالمرايا في مختلف المجتمعات، فمثلًا هو يشرح لماذا في بعض البلدان الغربية يقومون بتغطية المرايا في المنزل الذي تحدث به حالة وفاة، وذلك حتى لاتتعلق روح المتوفي بالمكان وترفض العبور إلى العالم الآخر.

- وماذا عن وجود الشموع على جانبي المرآة؟ هل له علاقة بأيٍ من هذه الأساطير؟

- نعم، فإحدى تلك الأساطير تقول: لو أنك أشعلت شمعتين على جانبي مرآة في مكان مظلم، وأخذتَ تُنادي بشكلٍ تصاعدي (يا ماري الدموية أنا الذي قتلتُ أطفالك) فإن ماري هذه تختطفك عبر المرآة أو تقوم بقتلك.. لكن من المؤكد أن زوجي لايمكن أن يكون هذا ما حدث له فقد كان يسخر بشدة من الكتاب وما ذُكِر فيه بعد أن حكيتُ له مضمون الكتاب.

لم ينجح هشام فى إخفاء السخرية البادية في صوته:

- هل تحاولين الإيحاء لي بأن زوجك حاول أن يجرب ذلك وأن (ماري) الخرافية هذه قد اختطفته عبر مرآة الحمَّام؟

ظهرت ملامح الضيق على وجهها من هذه السخرية:

- من المؤكد أنني لا أحاول الإيحاء لك بذلك، فزوجي لم يكن يؤمن بما وردَ من أساطير في هذا الكتاب، وكان يسخر منه بشدة، ولا أظنه قد حاول تجربة طقوس استدعاء (ماري الدموية) على الإطلاق.

سألها بشيءٍ من التحدِّي:

- وهل تؤمنين أنتِ بما وردَ في هذا الكتاب؟

كانت مرتبكة وهي تجيب:

- لكل أسطورة شعبية ظِلٌّ في الواقع، ولا يمكن أن تكون قد نبتت من العدم.

- هذا لا يجيب على سؤالي!

- أظن أن هذه الأمور تخرج كلية عن نطاق المنطق والعقل، فهناك العديد من الظواهر التي لا يوجد تفسير لها حتى الآن، مثل ظواهر الاحتراق الذاتي، أو ظاهرة تحريك الأشياء عن بُعد، ورُبَّما كان من بين هذه الأمور ما يتعلق بأساطير المرآة.

بدا نافذ الصبر:

- مازلتِ تراوغين في الإجابة.. أريد جوابًا صريحًا.. هل تؤمنين بما وردَ في هذا الكتاب؟

كانت كمن تم حصاره فاضطرت أن تجيب بصوتٍ أقرب للهمس:

- أعتقد أنني أميل إلى تصديق بعض ما وردَ في هذا الكتاب.

نهض من مقعده ودار حول سريرها وكأنه يحاصرها وهي تتابعه ببصرها:

- وهل من بين ما تميلين إلى تصديقه، الأسطورة الخاصة بماري الدموية؟

- لا أستطيع الإجابة بالنفي، كما لا أستطيع الإجابة بالتأكيد، فهناك الكثير من المخلوقات التي تعيش بيننا ولا ندرك ذلك بحواسنا المباشرة رغم تأكُّدنا من وجودهم؛ مثل: الجن أو الملائكة، فقد ذُكروا في كل الكتب السماوية، ولو أنك كنت تحيا في العصور القديمة لم تكن لتصدق وجود الجراثيم أو البكتيريا وكذلك كنت لتسخر ممن يقول أن هناك بَشرًا على الجانب الآخر من بحر الظلمات وهو المحيط الأطلنطي الآن، حيث توجد قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية..كنت لتتهمني بالجنون لو أخبرتك شيئًا عن الفيروسات.. و...

قاطعها بحدة:

- من باب مجاراة الحديث لا أكثر.. هل سمعتِ زوجك ينطق بالكلمات التي تستدعي (ماري الدموية) حينما كان في الحمَّام قبيل اختفائه؟

- مازلت أؤكد أن زوجي لايمكن أن يكون قد فعَلَ هذا كما أنني لم أسمعه يردد هذه الكلمات.

- إذن.. ما هو تصوُّركِ عمَّا حدث لزوجك أدى إلى اختفائه من الحمَّام والباب مغلق من الداخل مع وجود شباك حديدي على نافذة الحمَّام؟

بدا الانهيار واضحًا في صوتها هذه المَرَّة ولم تنجح في السيطرة عليه:

- صدقني لا أعلم ما الذي حدث.. ولا أستطيع تصور كيفية حدوث هذا الأمر، كل ما يشغل تفكيري الآن هو الاطمئنان على مصير زوجي.

تشاغل عنها بالنظر من النافذة وهو يقول:

- في هذه الحالة لايسعنا إلا أن نفكر أن الأمر برمته مُدبر، وأن إجابة هذه التساؤلات لن تخرج عن جعبتك.

كانت على شفا الإنهيار من جديد:

- للمَرَّة الثانية أؤكد لك يا سيدي أني لايمكن أن أفعل هذا بزوجي سواء كنت أحبه أم لا.

التفت إليها بحدة وبدا صوته قويًّا:

- ما الذي دفعِك لقول تلك الجملة؟

- أي جملة تقصد؟

- سواء كنت تحبينه أم لا؟

- خطر في ذهني أنك رُبَّما تظن أني لا أحب زوجي ولهذا دبرت هذه الواقعة.

اقترب أكثر من سريرها وكأنه يهجم عليها:

- وهل تحبين زوجكِ؟

أشاحت بوجهها:

- هذه أمور شخصية لاعلاقة لها بالتحقيقات.

- لكنها تؤثر في سير التحقيقات.

- أود ألا أُقحِم حياتنا الشخصية في هذه التحقيقات.

دار حول السرير ليواجهها، وبصوتٍ حادٍ:

- لماذا دائمًا تراوغين في إجابتكِ؟

في نفاذ صبر:

- لا أقصد مطلقًا المراوغة، أنا أرد على ما وراء أسئلتك.

- أرجو أن تكتفي بالرد على أسئلتي واتركي لي تحليل ما وراءها.

- حاضر.

عاد للجلوس على المقعد من جديد:

- هل يمكنني الحصول على هذا الكتاب، أعني كتاب (أساطير المرايا)؟

- بالطبع.. فهو مازال موجودًا بالمنزل.. يمكنك الحصول عليه في أي وقت.

- هل يمكن أن يكون زوجكِ قد خرج من المنزل دون أن تشعري بذلك؟

- لا أعتقد ذلك.. كما أن هذا الافتراض لا يفسِّر غَلْق باب الحمَّام من الداخل مع عدم وجود أي شخص بالحمَّام.

- هل تذكرين شيئًا آخر كُتِبَ على المرآة غير العبارة الغامضة؟

- نعم كانت هناك أرقام في شكل تاريخ (٢٤/ ٦/ ١١).

- هل يعنى لكِ هذا التاريخ أي شيء؟

- لا.

- هل ضمن أحداث أسطورتك أي ذِكرٍ للتواريخ أو الأرقام؟

- لا لم يُذكَر في الكتاب شيء في هذا الخصوص.

- هل لديكِ أقوال أخرى؟

- لا.

أمرَ الجندي المصاحب له بالحصول على توقيعها على أقوالها ثم نهض متوجها إلى الباب دون كلمة إضافية، تبعه الجندي الذي لملم أوراقه في سرعة وهو يلقي نظرة حيرة على مايسة التي عادت للاستلقاء في سريرها والإرهاق هو التعبير الوحيد الملائم لحالتها.

في طريقه للخروج، وقف هشام للتحدُّث قليلًا مع الطبيب الذي تابع حالة مايسة لإعداد تقرير طبي عن حالتها والإفادة عن وجود أي علامات عنف أو شجار على جسدها من كدمات أو سحجات أوخلافه وفحص اليدين والأظافر لبحث وجود أيٍ من خلايا السُمبلَّغ باختفائه..كما تمَّ طلب الكشف على قواها العقلية والنفسية.

* * *

رائد/ هشام الصيرفي

في طريق عودته إلى القِسم كانت الأسئلة تأكل عقل الرائد هشام الصير في بنهم شديد، كيف يمكن أن يختفي إنسان من مكان مغلق من الداخل وكأنه تبخر في الهواء؟.. الباب مغلق من الداخل، الشباك لا يمكن عبوره لوجود حديد يغتال هذا الاحتمال وهو جنين في رحم العقل.. وقبل أن تُكمِّل باقي الأسئلة التهام عقله، قفز في ذهنه خاطر ما جعله يستدعي عبد الصمد حارس العقار بمجرَّد أن وصلَ إلى مكتبه في القسم. دلف إلى مكتبه وأخرج ورقة بيضاء ورسم عليها دوائر أربع وخطَّ داخل كل دائرة منهم اسمًا من الأسماء الأربعة (يوسف القاضي- مايسة شهدي- عبد الصمد البواب- حسن النجار) رسمَ علامات استفهام كثيرة حول الأسماء ليجد رابطًا بينهم، طارت من عقله احتمالات الإجابات مع طرقات الباب، التفت إلى الباب مع دخول مساعده نقيب عمر السيد ليخبره بوصول عبد الصمد البواب، أمرَ بإدخاله وسمح له بالجلوس، نظراته كانت تحاول اختراق عقل عبد الصمد رُبَّما يصل لإجابة ما، شعر عبد الصمد بالقلق فابتسم ابتسامة مفتعلة وهو يعتدل في مقعده:

- خيرًا يا بك؟.. هل هناك من جديد؟

استمر هشام في التحديق إلى عبد الصمد بتلك الطريقة التي شعر معها عبد الصمد وكأن عظامه تحترق تحت وطأة هذه النظرات:

- أنا تحت أمرك وتحت أمر الحكومة.. هل أستطيع مساعدتك في شيء؟

ابتسم الرائد هشام ثم نهض ببطء من مجلسه وجلس في المقعد المواجه لعبد الصمد، حاولَ أن يبدو لطيفًا لكسر رهبة عبد الصمد منه:

- سأطلب شايًا يا عبد الصمد، هل تشاركني؟

نظر إليه عبد الصمد نظرة بلهاء وكأنه لا يصدق تباسط ضابط مع بواب فقير مثله ثم هزَّ رأسه بالرفض:

- شكرًا يا باشا.. لا داعي لهذا.

- أخبِرني يا عبد الصمد.. هل حاولت مساعدة السيدة مايسة في فتح باب الحمَّام حينما كان السيد يوسف بالداخل؟

- لا يا بك.. فحينما صعدتُ إليها لم أدخل الشقة مراعاة لحرمة البيت وهي حادثتني أمام الباب.

- ما الذي جال بخاطرك حينما أخبرَتك بأن الباب مغلق من الداخل وزوجها لا يستطيع الخروج؟

- الحقيقة يا سيدي أنا لم أعتَد التفكير في طلبات سكان العمارة، حفاظًا على لقمة العيش.

تعجَّب هشام من إجابته، خطا عدة خطوات عبر غرفة مكتبه ثم استدار ليواجه عبد الصمد من جديد:

- لكني متأكد من أنَّ فكرة ما عبرت رأسك في هذه اللحظة يا عبد الصمد.

- ظننت أنه رُبَّما أصيبَ بالإغماء في الحمَّام.

- هل تعرف السيدة مايسة هذا النجار من قبل؟

- نعم يا سيدي، فهو الذي اشتغل في تركيب الشبابيك الحديدية على منافذ الشقة يوم الجمعة وهو اليوم السابق مباشرة على حادثة اختفاء الأستاذ يوسف.

- هل كانت تعرفه من قبل؟

- لست متأكدًا.

- أخبرني يا عبد الصمد.. ما هو شكل العلاقة بين الأستاذ يوسف وزوجته؟

- الشهادة لله يا بك.. لا يُسمع لهم صوت في العمارة.. ودائمًا يتعاملون مع بعضهم باحترام.. على الأقل أمام الجيران، أمَّا ما بينهما بعيدًا عن أعين الناس فلا أعرف عنه شيئًا بالطبع.

مال نحوه وبذل مجهودًا كبيرًا ليبدو متباسطًا معه في الحديث:

- بيني وبينك يا عبد الصمد.. هل تصدق حقًّا أن أي إنسان يمكن أن يختفي من مكان مغلق؟.. هكذا ببساطة؟ وكأنه تبخر في الهواء؟

تلفَّت عبد الصمد حوله والخوف يسكنه:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. يا بك وحياة والدك.. أنا لاينقصني هذا الرعب، ولا أعرف كيف حدثَ هذا.

- ما الذي تظنه قد حدثَ إذًا؟

- لا أعرف.. صدقني يا سيدي لا أعرف، اللهم احفظنا.

أجابه وهو غير مقتنع بما يقول:

- أصدِّقَك يا عبد الصمد.

عاد إلى مقعده خلف المكتب وضغط زِرًّا بجواره، دخل على إثره مجنَّدًا ووقف ينتظر الأوامر، وبعنجهية تخالف بساطته المصطنعة منذ قليل، أشار للجندي قائلًا:

- رافق الحاج عبد الصمد إلى الخارج.

نهض عبد الصمد في سرعة وكأنه ينجو بنفسه من المكان، واتجه نحو الباب، ثم استوقفه هشام وهو يضيف بلهجة آمرة:

- لو شعرت أن هناك ما يستحق أن تخبرني به يا عبد الصمد، فمكتبي مفتوح لك في أي وقت.

هزَّ عبد الصمد رأسه بالإيجاب ثم رفع يده بالتحية واختفى.

عاد هشام ينظر إلى ورقته التي كتب عليها الأسماء الأربعة ثم مدَّ خطًا متقطعًا ما بين اسم (مايسة شهدي) واسم (حسن النجار)، في اللحظة التي دخل عليه فيها مساعده عمر السيد:

- هل قال عبد الصمد شيئًا جديدًا؟

أشار هشام لمساعده بالجلوس وهو يجيبه:

- ليس بهذه السرعة، الأمر سيحتاج مِنَّا اتباع طريقة صيد الثعالب.

هزَّ عمر رأسه في تفهُّم:

- تقصد أنك تريد إنهاك ضحيتك إلى الحد الأقصى حتى يقع دون أن تبذل مجهودًا كبيرًا لاصطياده.

- نعم.. خاصة أن هذه الجريمة يكتنفها غموضٌ رهيب، لذا تحتاج لتأنٍّ وهدوء في التفكير والتحرُّك والتعامل، تحتاج ذكاء ودهاء ثعلب أكثر مما تحتاج لقوة وعنف أسد.

ابتسم عمر من ذكاء رئيسه وهو يسأله:

- وماذا عن أقوال مايسة؟

- تحاول أن تدفعنا للتفكير في أمر أسطورة غبية لتوهمنا أن زوجها اختطفه كائني خرافي عبر المرآة.

قهقه عمر حتى اهتزَّ جسده:

- لكنها فكرة جديدة.. أن تحقق الشرطة مع الكائنات الخرافية.

ثم أضاف بصوتٍ أجش مصطنع:

- أيُّها الكائن الخرافي، اعترف.. هل اختطفت يوسف القاضي عبر المرآة؟

ضحكَ الاثنان معًا بعد هذه العبارة، ثم اعتدل هشام:

- هـل تعـرف مـا هـي الفكـرة المبدئيـة التـي تكوَّنـت في ذهنـي؟

- أخبرني.

- هـذه المـرأة تخلَّصـت مـن زوجهـا بطريقـة مـا ثـم ادعـت اختفـاءه في الحـمَّام المغلـق مـن الداخـل، في حـين أن الحـمام لم يكـن مغلقًـا بالأسـاس، وحتـى تكتسـب هـذه القِصَّـة شرعيـة أوهمـت البـواب بالأمـر، لاحِـظ أن البـواب لم يحـاول فتـح البـاب قبـل إحضـار النجـار، وهنـا تكتمـل اللعبـة، النجـار لـن يمكـن خداعـه في أمـر البـاب لـذا تـم الاتفـاق بـين الزوجـة والنجـار لتمثيـل كـسر البـاب وادعـاء اختفـاء الـزوج وسيشـهد البـواب أن البـاب كُـسِرَ أمامـه ولم يكـن يوسـف بالداخـل وإلقـاء الكـرة في ملعـب الخرافـات والكائنـات الأسـطورية.

- لكـن كيـف يمكـن أن تنشـأ علاقـة بـين مايسـة وحسـن النجـار؟

- لا يهـم أن يكـون بينهـما علاقـة مـا، المهـم هـو المـال، عرضَتْ عليـه مبلغًـا كافيًـا مـن المـال لتمثيـل هـذا الـدور وقَبِـلَ ذلك.

ثم غمز بعينه وهو يتابع:

- أو قَبِـلَ لأي سـبب آخـر، رُبَّـما وعدتـه بـشيء آخـر خـلاف المـال.

هزَّ عمر رأسه متفهمًا إشارة هشام:

- ولكن ما الدافع؟

- سنكتشف ذلك مع الوقت.

- هل هذا يلغي إحتمال تفكيرنا في الجملة المكتوبة بالدماء والتاريخ الذي يصاحبها؟

- بالطبع لا.. فكل شيء في هذه القضية له قيمة وتحليل فصيلة الدماء، ومعنى الكلمة والتاريخ سيفيد بالتأكيد، المهم الآن أن نُكثف مراقبة لصيقة حول مايسة وعبد الصمد البواب وحسن النجار وهواتفهم وتحركاتهم بكل دقة، أرسِل مِن رجالك الأكفأ لهذا الأمر، أريد مراقبة مستمرة طوال الأربع وعشرين ساعة، سيحدث خطأ ما من أحدهم وساعتها سننقض عليه ونعتصر منه كل معلومة ممكنة.

أومأ عمر برأسه ثم استأذن وانصرف لتنفيذ التعليمات.

في صباح اليوم التالي، سمع طرق على الباب فأمر الطارق بالدخول، كان أحد الجنود يحمل بيده مغلَّفًا مغلقًا، سلَّمه للرائد هشام ثم أدى التحيَّة العسكرية وانصرف. فضَّ هشام المظروف وأخرج الورقة الموجودة بداخله وكانت معنوَنة، تقرير طبي رقم ٥١٢ مستشفى الهرم في المحضر رقم ٢٨٠ إداري الهرم.

إنه في حوالى الساعة ٤:٢٢ ص يوم السبت الموافق ٢٠١١/٦/١٨ حضر إلى المستشفى السيدة / مايسةشهدي في سيارة الإسعاف رقم ٥٠٢ في حالة إغماء تام وبالكشف الظاهري عليها، بمعرفتي أنا دكتور/ بهاء عبدالحميد

الطبيب المقيم تبيَّن أنها في حالة إغماء نتيجة الإصابة بهبوط في الدورة الدموية، وبعد الكشف عن سبب هبوط الدورة الدموية تبين إصابتها بصدمة عصبية من الدرجة الثانية، وقد تمَّ اتخاذ الإجراءات الطبية اللازمة لإنعاشها واستجابت المريضة لمحاولات الإفاقة بعدحوالى ربع الساعة من وصولها إلى المستشفى وتم حجزها لمتابعة حالتها قبل التصريح بخروجها من المستشفى وبناء على طلب من الرائد/ هشام الصيرفي معاون مباحث قسم شرطة الأهرام تم عمل فحص شامل لجسد المريضة وتبين خلوه من أي كدمات أو سحجات سوى ما يُعتقَد أنها الناتجة عن سقوطها على الأرض نتيجة الإغماء ولم تحتوِ أظافرها على أي خلايا بشرية قد تشير للمُبلَّغ باختفائه أو غيره. أمَّا فيما يخص الكشف على قواها العقلية فقد تم تكليف الطبيب/ وهيب أبوالمكارم رئيس قسم الأمراض النفسية والعصبية بتحديد مدى سلامة الحالة النفسية للمريضة وأفاد بأنها في حالة عقلية ونفسية متزنة، وأنها مسئولة تمامًا عمَّا يصدر منها من أقوال أو أفعال ولا وجود لشبهة اختلال نفسي أو عقلي لدى المريضة، سوى خلل بسيط ناتج عمَّا تعانيه من أثار الصدمة العصبية التي أدت إلى حالة الإغماء التي دخلت المريضة بسببها إلى المستشفى، لكنها استطاعت تجاوز هذا الخلل وبعد ملاحظة الحالة لمدة أربع وعشرين ساعة تم التصريح بخروجها من المستشفى صباح يوم الأحد(١٩/ ٦/ ٢٠١١).

***

المراقبة

ما إن خرجت مايسة شهدي من المستشفى وعادت إلى منزلها حتى قبع المخبر «حمدي البيلي» أمام العمارة التي تقطن بها في صورة ماسح أحذية ليقوم بأعمال المراقبة اللازمة لعبد الصمد البواب ومايسة شهدي، كان منظره غير مقنع، فالشارع رغم كثرة المارة فيه ليس المكان الملائم لجلسة ماسح أحذية، رغم ذلك لم ينتبه أحد لغرابة هذا الأمر وكأن الناس اعتادت كل شيء غريب في حياتهم فلم يعد يدهشهم شيء.

في اليوم التالي، حوالي الساعة السابعة مساءً، خرجت مايسة شهدي من العقار واتجهت نحو سيارة يوسف بعد أن وقفت تحادث عبد الصمد البواب قليلًا في حوارٍ لم يستطع المخبر حمدي البيلي أن يلتقط منه شيئًا، أدارت محرك السيارة وانتظرت بعض الوقت أجرت خلاله مكالمة هاتفية ثم انطلقت في طريقها، اختطف المخبر صندوق مسح الأحذية في يده وهرول في اتجاه سيارة أخرى تقف على مقربة منه. ركب بجوار السائق الذي تحرك في حذرٍ خلف مايسة حتى اختفيا من الشارع، وصلت السياراتان إلى ميدان الدقي. وأمام عمارة شهيرة تحمل اسم إحدى شركات التأمين، تركت مايسة سيارتها واختفت داخل العمارة لمدة ساعة، حاول حمدي البيلي معرفة أي شقة تقصدها مايسة، لكنه لم يفلح في ذلك فالعمارة ضخمة وبها مكاتب إدارية وشقق سكنية وعيادات، بالإضافة إلى

مقـر شركـة التأمـين، فانتظرهـا في السـيارة حتـى خرجـت مـن العـمارة، اسـتقلت سـيارتها في طريـق العـودة إلى منزلهـا.

في يـوم الثلاثـاء، ظهـرَ حسـن النجـار بصحبـة عبـد الصمد البـواب وصعـدا إلى العـمارة لمـدة مـن الوقـت، ومـا إن خرجـا منهـا حتـى وجـدا أحـد المخبريـن يخبرهمـا بطلـب الرائـد هشـام الصـيرفي لهـما، فصاحبـاه إلى القِسـم.

كان الرائـد هشـام يجلـس في مكتبـه ذي الإضـاءة الخافتـة وأمامـه تلفـاز يعـرض إحـدى القنـوات الإخباريـة حـين طـرق البـاب أحـد الجنـود ليخـبره بوصـول عبـد الصمـد البـواب وحسـن النجـار فأمـره بإدخالهـما. وقفـا أمامـه والتوتر يتلاعـب بهـما، نظـر لهـما هشـام في حـدة ثـم أخـرج مسدسـه مـن بـين طيـات ملابسـه، أخـرج منـه خزينـة الطلقـات وجـذب الأجـزاء المعدنيـة للمسـدس وتركهـا ترتـد في عنـف أجفـل لـه عبـد الصمـد وحسـن، أعـاد خزينـة الطلقـات مكانهـا بقـوة أحدثـت صوتًـا مزعجًـا ثـم وضـع المسـدس أمامـه عـلى المكتـب في إشـارة لم يغفلاهـا، كان القلـق ينهـش عبـد الصمـد وحسـن وهمـا ينقـلان بصرهمـا بـين هشـام الصـيرفي ومسدسـه، نهـض هشـام مـن مكانـه واتجـه إليهـما، دار حولهـما ثـم وضـع يـده عـلى كتـف عبـد الصمـد فارتعـش وهـو يسـتدير تجـاه هشـام:

- ألم نتفـق يـا عبـد الصمـد أن تخـبرني بـأي شيء يتعلـق بقضيـة اختفـاء يوسـف القـاضي؟

كانت الرعشة بادية في صوت عبد الصمد وهو يجيب، محاولًا تفادي أن تلتقي عينه بعين هشام:

- نعم اتفقنا على ذلك، فهل قصَّرت في شيء؟

- لماذا لم تخبرني بخروج السيدة مايسة أمس من منزلها، وإحضارك لحسن النجار لها اليوم؟

- لم.. لم أكن أظن أن هذا يهم سيادتك.

أجابه وفي صوته نبرة عصبية بعض الشيء:

- لست أنت من تحدد ما الذي يهمني وما الذي لا يهمني، أنا الذي أحدد، عليك تنفيذ ما أطلبه منك فقط.

هزَّ رأسه بالموافقة دون أن يجيب، التفت هشام إلى حسن النجار:

- ماذا كنت تفعل في شقة السيدة مايسة اليوم؟

كان حسن متوترًا وهو يجيب:

- كانت ترغب في إصلاح باب الحمَّام الذي كسرناه يوم اختفاء السيد يوسف.

جلسَ هشام من جديد على مقعده ووضع يده على المسدس:

- هل كان الباب مغلقًا حقًّا من الداخل في هذا اليوم يا حسن؟

اضطرب حسن لرؤية يد هشام على المسدس وكأنه سيستخدمه في أي لحظة، وأجابه مضطربًا:

- ن.. نعم يا باشا كان مغلقًا من الداخل.

- لا أعرف لماذا ينتابني شعور بأني لا أبتلع هذا الأمر، هناك شيء يعبث بعقلي يجعلني لا أستطيع التصديق.

- أُقسِم لك يا سيدي أن الباب كان مغلقًا من الداخل فعلًا .

عادت العصبية إلى صوت هشام من جديد:

- وهل يعقل أن يكون الباب مغلقًا من الداخل ولا يوجد أحد بالحمَّام؟ ألم يدُر في ذهنك هذا السؤال؟

كان الخوف باديًا في صوت حسن النجار وهو يجيب:

- أنا لا أعرف يا هشام بك كيف كان الباب مغلقًا ولا أحد في الداخل، لكن ما أعرفه أن الباب كان مغلقًا حقًّا.

انتفض هشام وهو يصرخ في وجهه:

- لا تراوغ في الإجابة يا حسن وأصدِقني القول حتى لا ترى مِنِّي الوجه الذي لا ترغب في رؤيته.

انتفض حسن وهو يجيب وذاكرته تستدعي كل ما يعرفه عن طريقة تعامل الشرطة مع المواطنين، لذا خرج صوته مرتجفًا:

- أنا لا أجرؤ على مرواغة سيادتك، أنا فقط أقول ما عرفته .

تراجع هشام في كرسيه ثم سأله:

- ألم يخطر في ذهنك أن الباب كان مغلقًا من الخارج وليس من الداخل؟

- في الحقيقة لا، لم يدر هذا الخاطر في ذهني.

- وهل نوعية المزلاج الذي كسرته تسمح بغلقه من الخارج؟

اتجه حسن نحو حقيبته وأخرج منها المزلاج الذي استخرجه منذ قليل من الباب وقلّبَهُ بين يديه لفحصه ثم أجاب:

- لا يا سيدي، هذا النوع ليس له طريقة يغلق بها، لا من الداخل ولا من الخارج، والأمر الوحيد الذي يسمح بغلق الباب من الداخل هو وجود (ترباس) منفصل في الباب.

- لماذا إذًا كسرت المزلاج إذا لم يكن هو سبب غلق الباب؟

- لم أعرف بوجود الترباس إلا عندما كسرت الباب فعلًا يوم الحادث، واستبدلت المزلاج اليوم بناء على طلب السيدة مايسة.

نهض هشام وأشار لهما بسبابته في إشارة تحذير واضحة أضافت إليها حدة صوته نوع من القوة أيضًا:

- اسمعا جيدًا.. كلاكما في دائرة المشتبه بهم، إذا لم تصارحاني بالحقيقة سأضطر لحبسكما حتى تعترفا.

تجلى الفزع على وجهيهما وبدآ يستعطفان هشام الذي أصابه الضجر منهما فأشار لهما بالصمت فلاذا به فورًا، ثم أخذ يتأملهما وفي عينيه نظرات حادة:

- سأترككما تنصرفان الآن، لكن تأكدا أني لن أرحم من يقع منكما في قبضتي، وسأجعله يتمنى لو صدق القول من البداية، خطأ واحد سيكون كفيل بأن أتعامل معكما بلا حدود حتى تنتهي هذه القضية، انصرفا الآن.

اندفع الاثنان نحو الباب قبل أن يغير هشام رأيه، وما إن خرجا حتى هزَّ هشام رأسه في حيرة وأخرج الورقة التي خطَّ بها الأسماء من قبل وأعاد النظر إليها بتمعن، رفع سماعة الهاتف وطلب الرقم الداخلي الخاص بمساعده عمر السيد وطلب حضوره إليه ثم انطلقا سويًّا إلى منزل مايسة.

فتحت لهما مايسة الباب وما إن رأتهما حتى ارتسمت على وجهها علامات التعجب لكنها أفسحت الطريق وسمحت لهما بالدخول، جال عمر ببصره في أرجاء الصالة يبحث بعينه عن أي تغيير حدث بعد معاينته للشقة المَرَّة السابقة.

بادرتهما مايسة بالسؤال:

- خير يا فندم؟ ..هل هناك ما أستطيع مساعدتكما به؟

جلس هشام على أقرب المقاعد إليه وهو يقول:

- أبدًا.. أردت فقط إجراء حوار ودِّي معكِ لا أكثر.

- تحت أمرك.

قالتها وهي تجلس في مقابلته ثم أردفت وهي تضغط حروف الكلمات:

- حول أي أمرٍ تود إجراء (الحوار الودي) بيننا؟

- وهل هناك بيننا سوى قضية اختفاء زوجكِ؟

- لا.

- إذًا الأمر واضح، سنتحدث حول هذا الأمر.

- تفضَّل.

- هل خرجتِ من المنزل أمس؟

ارتبك صوتها وأشاحت بوجهها عنه:

- ن.. ن.. نعم، ثم أضافت:

- هل تراقبني؟

تجاهل سؤالها:

- أين ذهبتِ؟

- مشوار شخصي.

- أين؟

- الدقي.

- لماذا؟

- هل أنا مطالبة بتفسير كل تحركاتي لك؟

- طبعًا.. حتى ننتهي من هذه القضية لن تخطي خطوة واحدة دون أن أعرف.

زاد ارتباكها فنهضت محاوِلة الهرب من نظراته:

- هل تشربان شيئًا؟

- قهوة سادة من فضلك.

في هذه الأثناء كان عمر يتفحص باب الحمَّام بدقة من الداخل والخارج، في طريقها للمطبخ رمقته مايسة بنظرة من جانب عينيها وعقلها مشغول بسر هذه الزيارة الغريبة.

تشاغل هشام بتفحُّص المكان، في حين وقف عمر على باب المطبخ وقال موجِّهًا كلامه لمايسة:

- أرى أنكِ قمت بإصلاح الباب..

- نعم.

- أين كتاب أساطير المرايا؟

- في المكتبة بالصالة.

اتجه عمر نحو المكتبة وأشار بعينه لهشام ثم بحث عن الكتاب حتى وجده فمنحه لهشام الذي أخذ يقلب صفحاته حتى دخلت عليهما بالقهوة.

سألها هشام:

- هل هذا هو الكتاب الذي أخبرتِني عنه؟

- نعم هو.

نهض واتجه نحو الباب وتبعه عمر:

- شاكر حُسن استضافتك.

- لم تشربا القهوة.

- مَرَّة أخرى.. ستكون لنا لقاءات أخرى، وفي المرَّة القادمة ستخبريني أين كنتِ بالأمس.

تركاها وانصرفا وعلامات الاستفهام تملأ رأسها.

كان تقرير المعمل الجنائي في انتظار رائد هشام الصير في حينما عاد إلى مكتبه، لكنه لم يأتِ بجديدٍ:

• فصيلة الدم التي كُتِبَت بها عبارة (لأنه تجرَّأ) كانت لذَكَر في العِقد الرابع من عمره ولم يمكن مضاهتها بأي عينة من دماء المختفي للتيقُّن إن كانت دماءه أم لا، لعدم توفُّر عينة للمضاهاة.

• بقياس سرعة تجلُّط الدم تبيَّن أن العبارة كُتبت تقريبًا في نفس توقيت الاختفاء.

• كافة البصمات التي عُثِرَ عليها كانت لأربعة أشخاص مختلفين، ثلاثة منهم ذكور والبصمة الرابعة لأنثى، وبمضاهاة هذه البصمات ببصمات السادة (عبد

الصمد حماد السبع- حسن محمود الفقي) والسيدة مايسة شهدي عبد الرحمن وُجِدَ تطابق، بينما البصمة الرابعة تم مضاهاتها ببصمات المُبلَّغ باختفائه والتي تم رفعها من جهاز الحاسب الآلي الخاص به ووجد تطابق أيضًا في البصمة.

ألقى هشام التقرير على مكتبه ونظرَ إلى عمر:

- نحن في حاجة لعمل تحريات عن كل أطراف القضية، أريد كل تفاصيل ماضيهم وبدقة.

- مفهوم يا فندم، ولقد بدأنا بالفعل في جمع التحريات اللازمة.

* * *

لأني أستحق

صباح الجمعة (٢٤/ ٦/ ٢٠١١)، لم تكن الشمس تلتهب كثيرًا في شروق هذا الصباح بل كانت تترك للدنيا نسمات تتراوح لتقتل بعض الحرارة، يَخرج عبد الصمد من بوابة العمارة ليجلس على (الدِّكة)، يُخرِج مسبحة قديمة من جيب جلبابه، تتساقط الحبة تلو الحبة بين أصابعه وهو يتمتم بكلمات هامسة بين شفتيه العجوزتين، تَرقُب عيناه الشارع الذي ما زال يغفو؛ السيارات الجاثمة على الطريق لم تتحرك بعد، وبعض قطرات الندى تصارع كي لا تتبخر من فوق الزجاج الأملس، ماسح الأحذية الذي يجلس في الجهة المقابلة يرمقه بنظرات خفية، بائع الفول وهو ينادي بصوتٍ عذب على بضاعته الرائجة، بائع الجرائد الذي يتقدم نحوه بابتسامة رضا رغم الفقر والمرض ليعطيه جرائد السكان مقابل ربح قروش قليلة تنهزم بسهولة أمام حاجات الأبناء التي تكبر مع أعمارهم، يتناول عبد الصمد منه الجرائد مبتسمًا ويلقي عليه تحيَّة الصباح في ودٍّ حقيقي، يتابعه وهو يبتعد في تؤدة مناديًا بصوتٍ عالٍ:(يا كريم)، يصعد عبد الصمد إلى العمارة ليسلم كل شقة ما ترغب من جرائد حتى وصل الدور الأخير، يقرع جرس باب شقة يوسف القاضي ويقف في انتظار أن تفتح مايسة الباب ووجهه تعلوه ابتسامة، انتظر طويلًا ولم يُفتَح الباب، فقرع الجرس مَرَّة أخرى، من جديد طال انتظاره ولم يفتح الباب، بدأ العرق يتجمع على جبينه وترتعش

يـده، طـرق البـاب هـذه المـرة وألصـق أذنـه بالبـاب، نـادى بصـوتٍ عـالٍ:

- سِت مايسة.

لم يتلـقَ جوابًـا، عـاد لطـرق البـاب بقـوة أكـبر حتـى فتـح الجـيران أبوابهـم وتسـاءلوا في فضـول عـمَّا حـدث، جـرب أكثـر مـن شـخص طـرق البـاب وقـرع الجـرس دون إجابـة، بـدأ القلـق يعلـو الوجـوه والتسـاؤلات تتناقـل بينهـم حتـى اقـترح أحدهـم أن يتصلـوا بهـا عـلى الهاتـف، وتطوعـت إحـدى الجـارات بالاتصـال. ألصـق عبـد الصمـد أذنـه عـلى البـاب فسـمع صـوت الهاتـف آتيًـا مـن الداخـل، ارتبـك عبـد الصمـد وبـدأ يبسـمل ويحوقـل ويسـتعيذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم ويتحصَّـن بـالأوراد الصوفيـة مـن تلـك الكائنـات الخفيَّـة التـي بـدأت في خطـف سـكان الشـقة وعقلـه يرتعـد مـن فكـرة أن هـذه الكائنـات سـتبدأ في خطـف المزيـد مـن سـكان العقـار حتـى تصـل إليـه نفسـه، بـل رُبَّـما سـتتجه إليـه مبـاشرة بعـد الانتهـاء مـن أسرة يوسـف القـاضي. هـرول عبـد الصمـد إلى القسـم وهـو يتلفـت حولـه طـوال الوقـت. حينـما وصـل إلى القسـم صـادف الرائـد هشـام الصـير في متجهـا إلى سـيارته بعـد أن أنهـى إحـدى نوبتجياتـه في القسـم. لمحـه هشـام وهـو قـادم نحـوه يتلعثـم في الـكلام ويتخاطـف أنفاسـه، تقـدَّم نحـوه وهـو يسـأله عـمَّا حـدث وكانـت إجابـة عبـد الصمـد مقلِقـة:

- الست مايسة ليست موجودة في شقتها رغم تأكُّدي أنها لم تغادر العمارة.

لمع في ذهن هشام أن اليوم هو (٢٤/ ٦/ ٢٠١١) نفس التاريخ الذي كُتب على المرآة يوم اختفاء يوسف القاضي. هرع إلى داخل القسم وأجرى اتصالات ليحصل على إذن من النيابة لكسر باب شقة يوسف ومايسة حتى حصل على الإذن، استدعى مساعده عمر السيد وبعض الجنود واتجه إلى الشقة في سرعة ووجد بعض الجيران ما يزالوا يتواجدون أمام باب الشقة فصرفهم بشيء من الغِلظة نتيجة توتره ثم أمر جنوده بكسر الباب.

دخل هشام وعمر فقط وأمر الجنود بعدم إدخال أي شخص آخر، كانا حريصين جدًّا ألا يفسدا المكان من أجل معاينة المعمل الجنائي فيما بعد إن كان الأمر يستدعي ذلك، تجولا في الشقة ولم يكن هناك أي شيء غير معتاد حتى وصل عمر إلى غرفة النوم وما إن دفع الباب حتى نادى الرائد هشام، لم تكن الغرفة مظلمة بالكامل فبعض ضوء الشمس نجح في اختراق حصار الستارة حول النافذة وتسلل إلى الغرفة بشكلٍ كافٍ ليرى هشام وعمر بقايا شموع محترقة على جانبي المرآة العريضة بالغرفة وهناك عبارة مكتوبة بالدماء. أضاء هشام المصباح وحرص أن يستخدم المنديل قبل أن يضغط زر الإضاءة حتى لا يترك بصمته على الزِّر، وكانت العبارة هذه المَرَّة أكثر غموضًا

مـن ذي قبـل، عـلى الأقـل كانـت العبـارة في الـمَرَّة الماضيـة تُشكل جملـة مقـروءة، بينـما العبـارة هـذه الـمَرَّة كانـت كالتالي:

(ض ت غ ي ت ف أ أ ظ ي ط هـ ص خ ض ق ن أ غ ق أ خ)

بمعنـى أوضـح، كانـت أحـرف متناثـرة لا علاقـة لهـا ببعضهـا ولا تكـوِّن جملـة مقـروءة واضحـة، بينـما تحتهـا نفـس الأرقـام التـي وُجِـدَت في الـمَرَّة السـابقة (٢٤/ ٦/ ١١). التقـط هشـام بعـض الصـور عـن طريـق هاتفـه، وجـد عمـر ورقـة صفـراء مـن النـوع الـذي يمكـن لصقـه عـلى الأسـطح الملسـاء والـذي يسـتخدم في الـشركات لكتابـة الملاحظـات، دقـق النظـر فيهـا فوجـد الجملـة التاليـة (لأني أسـتحق).

كانـت الجملـة مكتوبـة بخـط دقيـق يوحـي بـأنَّ كاتبهـا أنثـى، لكـن الخـط بـدا مرتعشًـا، أخـذ هشـام يفكـر في معنـى العبـارة لكنـه لم ينجـح في الوصـول إلى معنـى مـا منهـا، تـم إخطـار النيابـة واسـتدعاء أفـراد المعمـل الجنائـي لرفـع البصـمات والتصويـر والفحـص وكافـة الإجـراءات الإداريـة الروتينيـة في مثـل هـذه الحـالات، كان المـكان يعـج بالحركـة بشـكل منـع هشـام مـن محاولـة التركيـز فـترك مسـاعده عمـر ليتـولى متابعـة تلـك الإجـراءات، وعـاد هشـام إلى مكتبـه مشـتَّت الذهـن تتقاذفـه الأفـكار ومـا بـين الفكـرة والفكـرة يـزداد عقلـه ارتبـاكا وتخبُّطًـا.

كان يحـاول أن يسـتوعب الأمـر، للمَـرَّة الثانيـة تحـدث

حالة اختفاء غامضة بنفس الطقوس السحرية العجيبة، هل حقًّا يمكن عبور المرايا؟ ما سِرُّ هذا الطقس الغريب المرتبط بهاتين الحادثتين؟ ما هو سِرُّ العبارات الغامضة التي كُتِبَت على المرايا في كل مَرَّة؟

كانت الأسئلة تغتال قدرته على التفكير، للمَرَّة الأولى في حياته المهنية يشعر بالعجز أمام قضية، رغم شهرة الضباط باعتمادهم على القوة والسطوة والتهديد ورُبَّما في بعض الأحيان التعذيب للوصول إلى حلول لقضاياهم وانتزاع اعترافات من المتهمين، إلا أنه اشتُهر بين زملائه بقدرة عالية على التحليل والتفكير المنطقي وكانا سبيلاه لحل القضايا المستعصية، لكن هذه القضية يختبئ مفتاحها في ركنٍ مظلم لم يستطع الوصول إليه بعد، شعر هشام وكأن هناك من يقف الآن في مكانٍ ما ويبتسم في سخرية من عجز هشام في الإمساك بالخيط الأول.

* * *

محمد خالد شفيق

زفـرَ هشـام مـن الحـيرة وهـو يقلِّـب صفحـات كتـاب (أسـاطير المرايـا) ويحـاول أن يفهـم تأثـير هـذا الكتـاب عـلى قضيـة اختفـاء يوسـف القـاضي وزوجتـه مايسـة شـهدي، عقلـه يرفـض الإستسـلام لفكـرة أن هنـاك كائنـات خرافيـة اختطفتهـما عـبر المرايـا، لكـن الأسـئلة واصلـت إغتيـال قدرتـه عـلى التفكـير والتحليـل:

- هل يمكن لشخص أن يعبر المرآة إلى الجانب الآخر؟

- مـا الـذي يمكـن أن يوجـد عـلى الجانـب الآخـر مـن المرايـا؟

- هـل حقًّـا توجـد مخلوقـات تحيـا خلـف المرايـا وبطريقـة مـا تجعـل هـذه المرايـا بوابـات بـين عالمينـا؟

- كيـف يمكـن لشـخصٍ أن يختفـي مـن مـكانٍ مغلـق بالكامـل دون أن يـترك أي أثـر خلفـه سـوى شـموع محترقـة وعبـارة مكتوبـة بالدمـاء وتاريـخ مبهـم؟

لا يمكـن أن يخضـع أبـدًا لهـذا التفسـير، فهـو يتنـافى مـع المنطـق والعقـل، كان يشـعر أن سـباحته في بحـر الأسـئلة بهـذا الشـكل لـن تصـل بـه أبـدًا إلى بـر إجابـة منطقيـة ولـن يسـتطيع حـل لغـز هـذه القضيـة المربكـة. عـاد يلتهـم صفحـات الكتـاب عَلَّـه يجـد قبسًـا مـن نـور يهديـه إلى الطريـق الصحيـح. لم يغـادر مجلسـه حتـى انتهـى مـن قـراءة الكتـاب

كاملًا، التقط بعض الملاحظات، خطط بعض السطور، ورغم ذلك كان الغموض يلقي بظِله الثقيل على خلايا عقله حتى امتنعت عن التفكير، أغلق الكتاب وأراح ظهره للخلف، طلب فنجان من القهوة ليعينه على اليقظة ويقاوم به ظلال الغموض الملقاة على عقله، لمعت في رأسه فكرة ما، رفع سماعة الهاتف وأجرى عدة مكالمات حتى استطاع الحصول على رقم هاتف الأستاذ/ محمد خالد شفيق المؤلف المعروف والمتخصص في شئون (ما وراء الطبيعة)، هاتفه وطلبَ لقاءه.

في الموعد المتّفَق عليه دلف هشام إلى مكتب السيد/ محمد خالد، كان الرجل يجلس خلف مكتب عادي يرتدي نظارة طبية تلتهم نصف وجهه الذي تعلوه ابتسامة مرحبة، نهض بجسده الضئيل وقامته المتوسطة لمصافحة هشام وأجلسه. تبادل الرجلان التعارف وعبارات التحيَّة والترحيب وبدأ هشام يحكي له التفاصيل التي يعرفها عن قضية الاختفاء عبر المرايا، كان محمد يستمع له بتركيز شديد وحينما انتهى هشام من السرد سأله:

* باعتبارك متخصص في الكتابة في ماوراء الطبيعة ما هي معلوماتك عمَّا يسمى بـ (أساطير المرايا)؟

بدا السيد/ محمد كما لو أنه يلقي محاضرة أكاديمية وهو يجيب في جدية:

* هي مجموعة من الحكايات والأساطير الشعبية التي وجدت في ثقافات ومجتمعات مختلفة تتحدث عن وجود عالم موازي لعالمنا خلف المرايا وكذلك وجود كائنات خرافية تحيا في هذا العالم وأن المرايا ربما تكون بابل لاتصال بين العالمين.

* وإلى أي مدى تجد هذه الحكايا تظل في الواقع؟

* حقيقة هي مجرد حكايات شعبية بعيدة عن الواقع تمامًا، ولكن..

صمتَ بعدها السيد/ محمد وكأنه متردد في إضافة المزيد، فاستحثه هشام على الاسترسال:

* ولكن ماذا؟

حسم السيد/ محمد أمره في الإجابة:

* بعض الثقافات تؤمن فعليًا بحقيقة الأساطير المتعلقة بالمرايا وتوجد آلاف القصص عن أشخاص عبروا المرايا أو تم اختطافهم من كائنات ماخلف المرايا، وحتى في ثقافتنا العربية كثيرًا ماتجد الأمهات ينهين أطفالهن عن الوقوف كثيرًا أمام المرايا دون أن يوضحن السبب، والغالب في الأمر أنهن يخشين أن يثير أطفالهن غضب أو إعجاب عوالم خلف المرآة فيؤذون هؤلاء الأطفال أو يختطفوهم، وبالطبع تناقلت نتيجة هذه الفكرة (النهي عن الوقوف

طويـلًا أمـام المـرآة) عـبر الأجيـال دون أن ينتقـل معها السـبب لأننـا نخـاف الحديـث عـن العـوالم التـي لا نراهـا، لـذا تجـد الجميـع يبسـمل ويحوقـل حـين يبـدأ أي حديـث عـن الجـن أو الشـياطين.

أراد هشام أن يستفسر أكثر:

* أي مـن هـذه الأسـاطير يتعلـق بوجـود شـموع بجانـب المـرآة؟

* أكثرهـم شـهرة هـي أسـطورة مـاري الدمويـة، بالطبـع هنـاك أسـاطير أخـرى لكـن هـذه أكثرهـم انتشـارًا.

كانـت رغبـة هشـام في المعرفـة قـد وصلـت للـذروة فأخـذ يسـأل:

* هل يمكن أن تشرح لى أكثر مضمون هذه الأسطورة؟

* باختصـار هـي أسـطورة تتعلـق بشـخصية خياليـة تسـمى مـاري الدمويـة، والبعـض يُرجـع هـذه الشـخصية إلى إحـدى النسـاء التـى عاشـت في العصورالوسـطى وتـم إعدامهـا مـن خـلال محاكـم التفتيـش التـي انتـشرت في هـذا الزمـان بتهمـة ظالمـة هـي قتـل أطفالهـا وأن روحهـا تنتقـم ممـن قتلوهـم بخطـف أوتشـويه مـن يقـوم بإجـراءات معينـة أمـام المـرآة والبعـض الآخـر يقـول إن هـذه الشـخصية محـض خيـال ولا وجـود لهـا في الواقـع، كـما يحيـل البعـض هـذه الشـخصية إلى

الملكة الإنجليزية ماري الأولى التي سُمِّيت بماري الدموية، كذلك بسبب بعض السلوكيات المرعبة التي سلكتها فقد اشتهرت بقتلها للعذارى والاستحمام في دمائهن للتمتع بالشباب الدائم، ويقال إنها عانت من حالات إجهاض متكررة والبعض يلمح إلى أن حالات الإجهاض هذه كانت متعمدة حتى لا تفسد شبابها وجمالها. أمَّا الأسطورة نفسها فتقول إنه لاستدعاء ماري الدموية يجب أن تنادي أمام المرآة باسمها عددًا من المرات لتبدو لك ماري في المرآة لتُظهر لك مستقبلك حتى إنه انتشر في أوروبا بالقرنين الثامن عشر والتاسع عشرات الفتيات يقمن بهذا الطقس لرؤية زوج المستقبل وهناك نسخة أخرى من الأسطورة أن يقول الشخص أمام المرآة في مكان مظلم إلا من ضوء الشموع التي توضع على جانبي المرآة (يا ماري الدموية أنا الذي قتلت أطفالك). وهو ما يدعو ماري الدموية للظهور للانتقام منه لقتله أطفالها سواء بقتل هذا الشخص أو تشويهه وربما اختطافه عبر المرآة وفي الغالب ما يكون هذا الطقس مجرَّد تحدي بين المراهقين لإظهار الشجاعة.

تغلبت مهنة هشام على سؤاله:

* وبالطبع لن نجد حالات مسجلة تؤكد أو تنفي هذه الوقائع.

* بالطبع لا.. فهي مجرد تناقل شفهي بين الناس.

* إذًا لا يمكن أبداً الاعتماد على هذه الأساطير لتفسير سر اختفاء شخص ما من مكان مغلق.

* بالطبع، لا يمكن أبدًا الاعتماد على هذه الأساطير في هذه الحالة.

لم يضِف السيد محمد خالد جديداً إلى ما قرأه هشام بالفعل في الكتاب، لكن كانت الحاجة إلى المعرفة تزداد التهامًا لخلايا هشام وهو يسأل:

* هل هناك ما تود إضافته أو توضيحه بخصوص هذه القضية العجيبة؟

* بالقطع أنا لا أتدخل في عملكم لكننى أنصح بالبحث عن رابط ما بين هذه الأساطير (وتحديدًا أسطورة ماري الدموية التي اهتممت بتفسيرها) وبين الواقعة التي تحققون فيها.

انحنى هشام للأمام مُبديًا اهتمامًا بجملة السيد محمد خالد شفيق:

* هل يمكن أن توضح قصدك؟

* أقصد أنَّ الأمر لا يمكن أن يكون عشوائيًا.. لابد أن هناك رابطًا ما بين واقعة الاختفاء التي تحققون فيها وبين الشكل الذي تمت به واقعة الاختفاء وربطها مع أسطورة ماري الدموية.. أعني باختصار أنه متعمد اختيار شكل

أسطورة ماري الدموية كغطاء لواقعة الاختفاء لإيصال رسالة معينة من وراء هذا الشكل.

* هل تعني أنَّ توجيه انتباهنا نحو أسطورة ماري الدموية لم يكن عفويًا أو لمجرَّد التغطية على جريمة ما وإنما وراءه رسالة ما؟

* أظن ذلك.. وربما تستفيد أكثر في هذا الشأن لو لجأت لرأي أحد خبراء علم النفس الجنائي.. لأنهم يستطيعون معرفة طريقة تفكير الفاعل من خلال الإشارات التي يتركها عمدًا في بعض الأحيان في مسرح الجريمة.

هزَّ هشام رأسه متفهِّمًا ومقتنعًا بكلمات السيد محمد خالد.

* لدي سؤال أخير، هل هناك في أي ذِكرٍ لأسطورة (ماري الدموية) لأي كتابات بالدماء أو غيرها على المرايا التي تستخدم في طقوس استدعاء (ماري)؟

* لم يرد في أيٍ من الروايات التي تناقلت عن هذه الأسطورة أي ذِكر بخصوص كتابات على المرايا.

* وماذا عن أي ذِكرٍ لأي أرقام؟

* لا شيء أيضًا في هذا الخصوص.

ابتسم هشام ثم قام ليستأذن بالانصراف، في طريق العودة إلى مكتبه بدأت الأفكار تصبح أكثر وضوحًا في

ذهنـه، إذن هنـاك إشـارات مـا وراء اختيـار أسـطورة مـاري الدمويـة لهـذه القضيـة، وبـدأت غيـوم الأسـطورة تنقشـع عـن عقلـه وتصفـو أفـكاره، وهنـا فقـط بـدأ يفهـم أن للكلـمات الغامضـة (لأنـه تجـرَّأ - لأني أسـتحق) معنـى يجـب أن يسـعى وراءه لفـض غمـوض هـذه القضيـة، بقـى أمامـه لغـز مايـزال في حاجـة إلى خيـط يفتـح لـه بـاب إلى الحـل، مـا هـو معنـى تلـك الأحـرف المتناثـرة التـي لا تكـوِّن جملـة مفهومـة؟، أخـذ يسـتعيد تلـك الأحـرف في ذهنـه ليحـاول الوصـول إلى معناها، رُبَّـما كانـت شـفرة مـا، أو تشـير إلى أمـرٍ مـا، لم يكـن متأكـدًا من هـذا، مـا كان متأكـد منـه أن تلـك الأحـرف لهـا أهميـة قصـوى في حـل لغـز هـذه القضيـة.

د. أمجد المهدي

تركيزٌ شديدٌ ارتسم على ملامح د. أمجد المهدي أستاذ علم النفس الجنائي وهو يستمع إلى تفاصيل قضية اختفاء يوسف القاضي ومايسة شهدي من الرائد هشام الصيرفي، كان هشام يحكي له كل التفاصيل حتى الصغيرة منها ليكون الدكتور أمجد على دراية كاملة بالوقائع ليصبح رأيه دقيقًا قدر الإمكان.

بعد أن انتهى هشام من سرد التفاصيل منح الدكتور أمجد فترة من الصمت ليفكر بتأني في الأمر، وبعد قليل سأله:

- بعد أن اطلعت على كافة التفاصيل، إلى أي مدى يمكنك أن تعتقد بوجود فعل جنائي وراء واقعتي الاختفاء؟

أجاب الدكتور أمجد في هدوء يتناسب مع طبيعته الأكاديمية:

- من المؤكد أننا لايمكن أن نسلم بوجود فعل غير عادى (مثل عبور المرايا) لتفسير واقعتي الاختفاء اللتين بين أيدينا.. لذا يبقى لنا تفسيران، التفسير الأول: الهروب (وهو في حالتنا هذه رُبَّما يكون مستبعدًا لوجود فارق زمني بين الواقعتين) التفسير الثاني: إخفاء السيد يوسف وزوجته بطريقة مدبرة، وإذا نظرنا للشكل العام لوقائع هذه القضية أستطيع أن أقول بثقة إنه حتى احتمال

الهروب سيكون مدبرًا حتى لايتم معرفة حدوث واقعة الهروب نفسها أو على الأقل سببها، وفي كل الأحوال يبدو مُخطِط أومخططي الواقعة وكأنه يريد توجيه أنظارنا إلى الأساطير والماورائيات حتى ينساق التحقيق خلفها ولايتم النظر إلى الواقعة من منظورها الحقيقي.

ظهر الارتياح على وجه هشام:

- إذًا سيادتكم تعتقد أن الأمر مُدبر في كل الأحوال؟

- مؤكد أنه كذلك.

- وفي رأيك من هو الشخص الذي رُبَّما يكون الأقرب لكونه الفاعل؟

تفكَّر الدكتور أمجد قليلًا ثم أجاب:

- طِبقًا للرواية الواردة في محاضر التحقيق نحن أمام شخص من اثنين أو رُبَّما كلاهما في دائرة الاشتباه الرئيسية، الزوج الذي اختفى، والزوجة التي اختفت أيضًا بعد ذلك بفترة قصيرة، ولدينا أيضًا البواب في دائرة الاشتباه الفرعية أي أنه قد لعبَ دورًا للمساعدة وليس هو الفاعل الرئيسي.

- وكيف يكون يوسف القاضي أو زوجته أحد المشتبه بهم؟

– سيكون كذلك لو أننا اكتشفنا أن الواقعة كلها كانت هروبًا مدبَّرًا ولم تكن اختطافًا أو قتلًا.

تساءل هشام:

– ولماذا أضفتَ البواب إلى دائرة المشتبه بهم ولو بالمساعدة؟

– لو أن الشخصين المختفيين ضحايا فإن المشتبه به الرئيسي سيكون البواب والدوافع قد تختلف من تصوُّر لآخر، ولو تصورنا أن الزوج هو الفاعل سيكون من المحتمل أن واقعة إخفاء الزوجة قد تمَّت بمساعدة البواب، ولو أن الزوجة هي الفاعل في هذه القضية فهي حتمًا في حاجة للمساعدة في إخفاء الزوج لعدم قدرتها العضلية على ذلك منفردة مع الأخذ في الاعتبار أنه رُبَّما مَرَّ وقت طويل بين الحدث نفسه -أي الاختفاء- وبين وقت الإبلاغ عن الواقعة والبواب كان متواجدًا في مسرح الجريمة في هذه الفترة ولا نستطيع التأكيد على دوره في هذه الحالة.

سجَّل هشام بعض الملاحظات في دفتر ملاحظاته، ثم قال:

– لقد تمَّ أخذ رأي المؤلف المعروف محمد خالد شفيق في تفاصيل الأسطورة المتعلِّقة بماري الدموية، وأفاد أنه رُبَّما يكون الفاعل قد تعمَّد ترك رسائل معينة بالطريقة

التي تمَّ بها تنفيذ وقائع الاختفاء، في رأيك ماهي الرسائل التي قد يكون الفاعل أراد الإشارة إليها؟

- أوافقه في هذا الرأي تمامًا، وأرى أن الرسالة الأولى ستكون: أن الفاعل أو الفاعلة ذكي بقدرٍ كبيرٍ، ولهذا سيكون من المطلوب بناء خطتكم من منطلق أنكم تتعاملون مع شخص ذكي وهذا سيتطلب منكم خططًا غير تقليدية للإيقاع به، الرسالة الثانية: أنه شديد الثقة بالنفس ويتمتع بالهدوء، وحينما تضم الثقة الشديدة بالنفس مع الذكاء مع هدوء الأعصاب سيكون من الصعب العثور على أخطاء من الفاعل لأنه ربما خطط للواقعة بتأنٍ شديد لسد ثغراتها.. لكن الرسالة الأهم هي الرسالة الثالثة والتي لن نعرفها إلا عندما نصل إلى حل في هذه القضية.

شعرَ هشام بالحيرة وهو يبحث عن معنى لهذه العبارة:

- هل يمكن أن تفسِّر مقصدك؟

- أعني أن الرسالة الثالثة هي التي تحمل بالتأكيد السبب وراء هذه الواقعة، وهو أمر لن نصل إليه إلا إذا تمَّ حل لغز القضية وعرفنا الدافع الحقيقي وراء هذا التدبير.

- وماذا عن الشكل؟ هل تعتقد أن اختيار شكل هذه الواقعة قديكون الرسالة الرابعة في هذه القضية؟

- مـن المؤكـد أن الشـكل وراءه رسـالة أو معنـى معـين، لكـن هـذه الرسـالة بدورهـا لـن تتضـح في الوقـت الحـالي، لأنهـا مثـل رسـالة السـبب لـن نسـتطيع قراءتهـا إلا بعـد الوصـول لحقيقـة الواقعـة.

شرد هشام مفكِّرًا ثم سأل:

- وفي اعتقـادك مـن هـو الشـخص الأقـرب لإرسـال هـذه الرسـائل؟ هـل هـو الـزوج؟ أم الزوجـة؟

- مـن الصعـب الإجابـة عـلى هـذا السـؤال في الوقـت الحـالي فكـما قلـت سـابقًا..كلاهما قـد يكـون في دائرة الاشـتباه.

- أشـار الأسـتاذ/ محمـد خالـد شـفيق أيضًـا إلى احتـمال وجـود رابـط مـا بـين الشـكل الـذي تـمَّ تدبـيره في واقعـة الاختفـاء وبـين سـبب الاختفـاء.. مـا تعليقـك؟

- هـذا احتـمال قـوي جـدًّا لأن ذكاء الفاعـل الـذي أشرت إليـه قـد يكـون هـو الـذي خلـق هـذا الرابـط بـين سـبب الاختفـاء وشـكل الاختفـاء.

- كيف يمكن أن نجد هذا الرابط؟

- أظنـه سـيكون خفيًّـا في الوقـت الحـالي لكـن القليـل مـن إمعـان النظـر رُبَّـما يقودكـم إليـه.

* * *

د. محمود حسانين

- ((د. محمود حسانين))، أخصائي أمراض النساء والولادة، والكائنة عيادته بحي الدقي هي المكان الذي قصدته مايسة شهدي عند خروجها من منزلها قبل اختفائها.

تلك هي العبارة التي سمعها الرائد هشام الصيرفي من مساعده النقيب عمر السيد علي عبر الهاتف بعد أن أجرى تحرياته الخاصة حول خروج مايسة من منزلها، ردَّ هشام متلهفًا:

- وهل عرفت سبب تلك الزيارة؟

- ليس بعد، لكن بالطبع سنعرف الليلة.

- لا تتصرف بمفردك في هذا الأمر، سأذهب بنفسي إلى الطبيب لمعرفة السبب.

- هل تحتاجني معك عند زيارته؟

- كلا سأتصرَّف.

في المساء كان هشام يجتمع بالطبيب محمود حسانين في عيادته بعد أن انتهى من الكشف على مرضاه، لم يخبره الرائد هشام سوى باختفاء مايسة فقط دون أي تفاصيل أخرى ثم بادره هشام:

- دكتور محمود، من المؤكد أني ساحترم تمامًا حفاظك على أسرار مرضاك ولن أطلب منك الكشف عن أي منها،

لكـن أرجـو أن تتفهم سـبب أسـئلتي بعـد أن أخبرتـك باختفاء السـيدة مايسـة شـهدي منـذ عـدة أيـام في ظـروف غامضـة، وأسـعى فقـط لحـل رمـوز هـذه القضيـة.

أومأ دكتور محمود برأسه تفهُّمًا وهو يضيف:

- ثـق أني سـأتعاون مـع سـيادتك لتصـل إلى حـلٍّ لهـذه القضيـة في حـدود عـدم الكشـف عـن أسرار مريضتـي.

- هـل لي أن أعـرف إذا كان تـردُّد السـيدة مايسـة عـلى عيادتكـم لسـبب مـرضي أم أنهـا في إطـار الفحوصـات المعتـادة؟

- في الواقـع تلـك الزيـارات لم تكـن لأسـباب مرضيـة كـما لم تكـن لفحوصـات معتـادة، بـل كانـت لأمـرٍ مختلـف.

- أرجو أن تكون أكثر إيضاحًا.

- عفـوًا سـيادة الرائـد، لـن أسـتطيع الإفصـاح عـمَّا هـو أكثـر.

- هـل لديـك أي معلومـات عـن العلاقـة الأسريـة بـين السـيدة مايسـة وزوجهـا السـيد يوسـف القـاضي؟

- في الواقـع لا عِلـم لي مطلقًـا بكيفيـة مسـار حياتهـم، كـما أننـي لم التـقِ يومًـا بالسـيد يوسـف.

حـاول هشـام السـيطرة عـلى أعصابـه كـي لا يبـدو عليـه الغضـب مـن إجابـات الدكتـور محمـود المقتضبـة والمبتـورة:

- بتلك الطريقة أنت لا تساعدني يا دكتور محمود.

ابتسم الدكتور محمود وهو يجيب هشام:

- صدقني أنا لا أحاول أن أخفي عنك أي معلومات قد تكون في صالح تحقيق العدالة، وكما أخبرتك من قبل، سيكون ذلك في إطار الحفاظ على أسرار مريضتي.

- أرجو أن تتفهم يا دكتور أن أي معلومة قد لا تراها ذات قيمة في سير التحقيقات قد يكون لها أهمية كبرى لكشف غموض هذه القضية.

- أتفهَّم ذلك طبعًا، لكني بصدق لن أتمكن من الإفصاح عن سبب الزيارة.

- دكتور محمود، قضية السيدة مايسة لا تتعلق بواقعة اختفائها فقط، بل تتعلق أيضًا بالطريقة التي اختفت بها، لقد اختفت من مكانٍ مغلق بالكامل، وفي ظل طقوس سحرية غامضة تتعلق بأسطورة قديمة.

قهقه الدكتور محمود:

- سيادة الرائد، أرجو أن تحترم ذكائي، هل تصدق أنت نفسك ما قلته للتو؟

- في الحقيقة لا، لكن هذا ما حدثَ بالفعل أو ما يبدو لنا حتى الآن أنه حدث، ونحاول أن نبذل قصارى جهدنا لحل لغز هذه القضية المعقدة.

ثم أخرج هاتفه وبدأ في عرض الصور التي التقطها لمرآة حجرة نوم مايسة شهدي والشموع المحترقة بجانبها والعبارة الغامضة المكتوبة بالدماء، ثم عرض عليه أيضًا صورة للورقة الصفراء التي كُتِب عليها (لأني أستحق)، ظهر على وجه الطبيب الاندهاش من هذه الصور وما ظهر بها، اعتدل في جلسته وعدل من وضع النظارة الطبية على عينيه ثم حسم تردُّده:

- الحقيقة أن السيدة مايسة شهدي أجرت عملية إجهاض منذ حوالي شهرين أو أكثر قليلا وكانت زيارتها الأخيرة لمتابعة حالتها بعد العملية، خاصة مع تعرُّضها لصدمة عصبية من فترة قريبة.

«كما يحيل البعض هذه الشخصية إلى الملكة الإنجليزية ماري الأولى التي سميت بماري الدموية، كذلك بسبب بعض السلوكيات المرعبة التي سلكتها قد اشتهرت بقتلها للعذارى والاستحمام في دمائهن للتمتع بالشباب الدائم، ويقال أنها عانت من حالات إجهاض متكررة والبعض يلمح إلى أن حالات الإجهاض هذه كانت متعمدة» كانت هذه كلمات السيد محمد خالد شفيق التي ترددت في جنبات عقل الرائد هشام فور سماعه بأمر عملية الإجهاض التي خضعت لها مايسة شهدي قبل فترة من اختفاء زوجها ثم

اختفائها كذلك بالطريقة نفسها المرتبطة بأسطورة ماري الدموية، اعتدل في جلسته وحادث نفسه بصوت مسموع:

- خضعت لعملية إجهاض؟

- نعم.

- أليست تلك العملية غير قانونية.

- طبعًا.. لكنها لم تجريها في عيادتي أو مستشفاي.

ابتلع هشام هذه الكذبة وواصل حديثه في هدوء:

- هل كانت هذه هي المَرَّة الأولى؟

صمتَ الدكتور محمود قليلًا ثم قال:

- الحقيقة لا، كانت تلك هي المرَّة الثانية لها، وقد حذرتها أن تكرار هذه العملية قد يؤثر سلبًا على قدرتها على الإنجاب في المستقبل.

- متى كانت العملية الأولى؟

- منذ عام تقريبًا.

- هل صرَّحت لك لماذا أجرت عمليتي إجهاض؟

- نعم فعلت، قالت إنها وزوجها لا يرغبان في الإنجاب حاليًا لأنهما متزوجان حديثًا ولديهما خطط للاستمتاع بحياتهما قبل تحمُّل مسئوليات الأطفال، لكن في الحقيقة هناك سبب آخر.

- ما هو؟

- رغم أن ذلك يدخل ضمن أسرار المريضة لكني سأخبرك به لما لمسته من خطورة الموقف.

- تفضل.

- أثناء الفحص الذي أجرته عندي في العيادة في المَرَّة السابقة كتبتُ لها بعض الأدوية ودواء آخر مهدئ لزوجها حتى لا يطلبها للعلاقة الحميمة لمدة التعافي من آثار العملية، لكنها في زلة لسان أوضحت أنها لم تخبر زوجها بهذه العملية، ثم ارتبكت وانصرفت، مما جعلني أشك في السبب الذي أخبرتني به من قبل.

ظهرت الدهشة على ملامح هشام لهذه المعلومات الجديدة:

- هل تظن أنها لم تكن تحب زوجها؟ لذلك أجرت عمليات الإجهاض حتى لا يربطها به طفلٌ في المستقبل، أم أن لها علاقات أخرى وكانت تخشى افتضاح أمرها؟

- لا أستطيع الجزم بذلك.

شكره هشام وانصرف من العيادة وقد شعر بأنه استطاع الإمساك بالخيط الأول وسرعان ما سيمسك بباقي الخيوط ثم اتصل بمساعده النقيب عمر وسأله عن

نتيجة التحريات المكثَّفة التي طلبها عن يوسف القاضي ومايسة شهدي وتاريخ كل منهم بالتفاصيل الدقيقة.

كانت الصورة في ذهنه قد قاربت على الوضوح، مايسة تقمصت دور (ماري الدموية) للتخلُّص من زوجها ثم دبرت واقعة وهمية توحي باختفائها أيضًا للتخلُّص من الخناق الذي ضاق حول رقبتها نتيجة التحقيقات، لهذا طلب من مساعده البحث والتحري الدقيق عن تاريخها وتاريخ زوجها.

التحريات

بدأ النقيب عمر السيد تحريات مكثَّفة عن يوسف القاضي وزوجته مايسة شهدي من أجل اكتشاف مزيد من الحقائق عن كل منهما واستمرت هذه التحريات عدة أيام.

في مكتب الرائد هشام الصيرفي، جلس النقيب عمر السيد وبيده التقرير الخاص بهذه التحريات، عرضه على رئيسه وكان نصه بعد الديباجة كالتالي:

«بالتحري عن السيد/ يوسف القاضي تبيَّن لنا ما يلي:

• المذكور سيرته حسنة في محيط عمله وجيرانه ولم يرد في أي مِن شهادات مَن لهم علاقة به أي شيء قد يشير لسوء السلوك أو لوجود أي مشكلات في عمله أو محيط علاقاته الاجتماعية تَدفعه للهرب أو تُعرِّضه للاختطاف.

• المذكور سبق له الزواج من قبل من السيدة (منى العدوي) منذ ما يزيد عن أربع سنوات، ولكن تُوفيَت زوجته في حادث مروري عادي أثناء سفر يوسف القاضي إلى الإسكندرية لإنهاء بعض إجراءات العمل ولا توجد أي شبهة جنائية في وفاتها.

• المذكور كان نزيلًا بأحد دور رعاية الأطفال الأيتام، وتم مَنحه اسمه واسم عائلته في هذه الدار ولا يُعرَف له أسرة.

- خريج كلية الآداب جامعة القاهرة لعام ١٩٩٢.
- عملَ لفترة في محل لبيع قطع غيار السيارات ثم استقل بمشروع صغير في نفس النشاط واستطاع بجهده وبطرق شريفة زيادة رأس مال المشروع.

ملحوظة هامة:

- المذكور، استأجر سيارة ملاكي برقم (و ع -٥٠١٦) من أحد معارض إيجار السيارات بالدقي لمدة شهر، وتمَّ دفع قيمة الإيجار وقيمة التأمين نقدًا، ومدة الإيجار المتفق عليها شهر يبدأ من ١٥/ ٦/ ٢٠١١، ولم يُستدَل على سبب إيجار هذه السيارة رغم امتلاك المذكور لسيارة خاصة كما أن السيارة لم يتم ردها للمعرض ولم يتم العثور عليها حتى الآن.

أمَّا بالتحرِّي عن السيدة/ مايسة شهدي فقد تبيَّن لنا ما يلي:

- المذكورة سيرتها حسنة في محيط أسرتها وجيرانها.
- لا تعمل في الوقت الحالي رغم أنه سبق لها العمل في الفترة ما بين تخرُّجها وزواجها من يوسف القاضي كمحاسب في إحدى شركات القطاع الخاص.
- المذكورة خريجة كلية التجارة جامعة عين شمس لعام ٢٠٠٤.

• المذكورة أجرت عمليتي إجهاض في عام واحد، الأولى في شهر يوليو ٢٠١٠، والثانية في شهر مايو ٢٠١١.»

نظر هشام إلى عمر:

- هناك معلومة في غاية الأهمية يا عمر يجب أن تستكملها، لماذا استأجر يوسف القاضي سيارة رغم امتلاكه سيارة خاصة، يجب إستيفاء المعلومات في هذا الشأن.

- تلاحظ سيادتكم أني وضعت خطًا أحمر تحت هذا البند تحديدًا لشعوري بأهميته في سير التحقيق، لكن العاملين بمكتب إيجار السيارات لا يعرفون السبب لأنه ليس من المعتاد أن يتساءل العاملون في مكاتب إيجار السيارات عن أسباب التأجير، كما أن العاملين بمحل قطع غيار السيارات الذي يملكه يوسف لا يعرفون شيئًا عن ذلك أيضًا.

قال هشام في حدة:

- لا يهمني من يعرف ومن لا يعرف، يجب أن نصل إلى هذا السبب وفي أسرع وقت، رُبَّما تقلب هذه المعلومة سير التحقيقات رأسًا على عقب.

- سنحاول مجددًا يا سيدي.

- أين هي هذه السيارة؟

- لم نعثر عليها حتى الآن لكن تحرياتنا أثبتت أن هذه السيارة مرت من بوابات طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوي خروجًا من القاهرة يوم الأربعاء الموافق (١٥/ ٦/ ٢٠١١)، وتمَّ تسجيل مخالفة سرعة لها على هذا الطريق يوم الجمعة الموافق (١٧/ ٦/ ٢٠١١) في رحلة عودة من الإسكندرية إلى القاهرة، وهو نفس يوم اختفاء يوسف، الذي اختفى فجر السبت، رغم أن تحرياتنا أثبتت أن يوسف القاضي كان موجودًا في القاهرة في هذه الأيام.

- من كان يقود السيارة إذًا؟

- لم نصل إلى إجابة هذا السؤال بعد.

كاد الغضب يتراقص في كلمات هشام الصيرفي رغم محاولة كبحه:

- كيف يا عمر لم تعرف من كان يقود السيارة؟ اعتبر هذا الأمر أولوية قصوى في عملك.

- تحت أمرك.

- أريد معرفة مكان هذه السيارة في أسرع وقت.

- سنفعل بإذن الله.

- أبلِغني فور أن تجدها.

- طبعًا.

* * *

الشفرة

بقى أمام هشام غيمة واحدة لم تبدأ في الانقشاع بعد لتشرق شمس الحقيقة على ليل قضية يوسف القاضي ومايسة شهدي وهي غيمة تلك الأحرف المتناثرة التي لا تشي بأي معنى. أخرج هشام من درج مكتبه صورة لتلك الأحرف التي كُتِبَت على مرآة حجرة نوم مايسة وأخذ يتأملها بدقة، حاول أن يعيد ترتيبها على ورقة بيضاء علَّها تفصح عن سرها، جرب أن يستبدل حروفها بحروف أخرى تالية أو سابقة لها بلا جدوى.

فتح جهاز الكمبيوتر الخاص به وكتب هذه الأحرف في صفحة محرك البحث جوجل رُبَّما منحه إجابة، كانت إحدى نتائج البحث تحمل مشعل أمل ضئيل بعنوان طرق حل الشفرات، أبحر هشام لمدة طويلة في بحر الإنترنت واستبدل كلمات البحث أكثر من مَرَّة، حتى وصل إلى صفحة تختص بطرق حل الشفرات المختلفة، حينما أنهى هشام بحثه كان قد تيقن أن هذه الأحرف المتناثرة ما هي إلا شفرة من نوع خاص، أخرج هاتفه المحمول واتصل بالسيد محمد خالد شفيق ليعرض عليه ما استجدت أمامه من معلومات ليستطلع رأيه في أمر هذه الشفرة واستأذنه في لقاء جديد يجمع بينهما للتباحث في هذا الشأن.

في مكتب محمد خالد شفيق أخرج هشام الصيرفي صورة للأحرف المبعثرة التي كُتِبَت على المرآة بالدماء وعرضها عليه، تأملها محمد لبعض الوقت ثم اتجه إلى أرفف مكتبته وبحث بين الكتب لبعض الوقت حتى عثر على بغيته، سحب الكتاب واتجه به نحو هشام، ناوله إياه، قرأ هشام العنوان بتأني وكأنه يستوعب الأمر، (أشهر شفرات الحرب العالمية الثانية) تصفح هشام الكتاب ثم توجه ببصره نحو محمد خالد:

- لا أفهم، ما علاقة الحرب العالمية الثانية بتلك الأحرف المتناثرة؟

- المفترض أن الجاني في تلك القضية هو شخص عادي، وبالتالي إذا تمكن من الكتابة بالشفرة فمن المؤكد أنه لجأ إلى إحدى الشفرات التي أصبحت معروفة.

- ما الهدف إذن من الكتابة بشفرة تمَّ حلّها بالفعل؟

- لأن الجاني افترض أن الشرطة لن تتمكن من حل هذه الشفرة دون الكلمة المفتاحية ولن يخطر ببالكم البحث عنها في هذا الاتجاه، ورُبَّما تعمد ذلك لتأكيد مسألة الطقوس السحرية.

كان هشام يشعر بالحيرة:

- وكيف سأستفيد بهذا الكتاب إذًا؟

- طالِع الشفرات التي تمَّ ذكرها بالكتاب، وحاوِل الربط بينها وبين تلك الأحرف المتناثرة حتى تصل إلى حل الشفرة التي تواجهك، رُبَّما فتح لك هذا الكتاب طريقًا للحل.

- إذًا هل تسمح لي بالاحتفاظ بهذا الكتاب حتى أصل إلى حل؟

- بالطبع، لكن بشرط واحد..

- ما هو؟

- أن تعيد الكتاب، لأن هناك مقولة شهيرة تقول (أحمق من يعير كتاب، وأشد حمقًا من يعيده) وأنا لا أحب أن أبدو الأحمق الوحيد.

قهقه هشام بصوتٍ عالٍ:

- إذًا أعدك أن أكون أشد منك حمقًا.

في مكتبه، بدأ هشام في دراسة كل كلمة في الكتاب بدقة متناهية، وأخذ يطبِّق كل التعليمات على تلك الأحرف المتناثرة ويعيد تطبيق كل الاحتمالات المتاحة، بكل شكل ممكن، لم تكن تواجهه سوى مشكلة واحدة، أن كل تلك الشفرات معدة للتطبيق على الأحرف اللاتينية ولم تُعد للتطبيق على الأحرف العربية، حتى انتهى تمامًا من دراسة كل الشفرات الموجودة في الكتاب، وفشل لدرجة أعادته

سريعًا إلى مربَّع الإحباط الذي لازمه في بداية القضية، كان ينقصه أيضًا الكلمة المفتاحية التي سيستخدمها كدليل لفك تلك الشفرة. أغلق الكتاب وجفونه، أراح رأسه للوراء، حاول جاهدًا أن يبتعد بعقله عن تلك القضية كي يرى الصورة العامة من بعيد حتى نجح.. بدأ يتأمل الوضع العام للقضية:

طقوس سحرية مزيفة «أو هكذا يأمل».

كلمات غامضة.

تاريخ في الواقعة الأولى حدثت فيه الواقعة الثانية، ثم تكرر بلا معنى واضح بالنسبة له.

أحرف متناثرة لا تشكِّل أي معنى.

سيارة مستأجرة لم يتم الوصول إليها إلى الآن، ولم يتم التعرُّف على الهدف من استئجارها.

عمليتا إجهاض في عام واحد والسبب مازال مجهولًا، لكن مايسة أصبحت الآن المشتبه به الأساسي في تلك القضية.

أين يوسف؟

أين مايسة؟

لماذا..

لماذا يرن الهاتف الآن وينتزعه من أفكاره؟

نظـر إلى شاشـة الهاتـف بضجـر، لمـح اسـم عمـر، ففتـح الخـط:

- ألو.

- وجدنا السيارة؟

- أين؟

- في شـارع المستشـفى، أمـام العقـار رقـم ١١، العقـار المجـاور للعقـار الـذي يسـكن فيـه يوسـف ومايسـة.

هتفَ هشام في حدة:

- وكيف لم تلحظها من قبل؟

- كانت مغطاة.

- لا تتحفـظ عـلى السـيارة أو تثـير جلبـة حولهـا، أعـد الغطـاء واصرف رجالـك، اكتفـي بمراقبـة السـيارة مـن بعيـد، أريـد أن أعـرف مـن يسـتخدمها.

- لكن الجلبة حدثت بالفعل حول السيارة.

- اصرف الجميـع يـا عمـر، لا أريـد أحـدًا حـول السـيارة اعتبـارا مـن هـذه الثانيـة.

- أمر سيادتك.

- وانتبـه جيـدًا لـكل مـا يـدور في المـكان، أريـد رجالـك في حالـة يقظـة دائمـة لأدق التفاصيـل التـي تحيـط بهـم،

ومـن الأفضـل أن تسـتبدل طاقـم المراقبـة بالكامـل وكذلـك اسـتبدل التكنيـك الـذي تتبعـه في فـرض الرقابـة عـلى المـكان والأشـخاص، غـير مسـموح بالخطـأ يـا سـيادة النقيـب.

- اطمئـن يـا سـيادة الرائـد، ستسـير كل الأمـور كـما تريـد بالضبـط، سـأهتم بنفـسي بمتابعـة ذلـك بـكل دقـة.

- أريد القبض على أول من سيقترب من هذه السيارة.

أغلـق هشـام الخـط، أعـاد رأسـه للـوراء، قبـل أن تمـس رأسـه مسـند المقعـد انتفـض محملقًـا في الأحـرف المتناثـرة التـي حيرتـه طـوال الأيـام الماضيـة، أعـاد فتـح الكتـاب، قلَّـب صفحاتـه في عجالـة حتـى وصـل إلى الفصـل الخـاص بشـفرة Vigenère كان جـدول الشـفرة في الكتـاب يحتـوي عـلى الأحـرف الإنجليزيـة في شـكل شـبكة، بحيـث تتكـرر الحـروف في الأعمـدة والصفـوف بشـكلٍ متسلسـل يضمـن تبـدل الشـفرة في كل مَـرَّة تتغـير فيهـا الكلمـة المفتاحيـة للنـص المشـفَّر، فيكـون مـن المسـتحيل فـك لغـز الشـفرة بـدون الكلمـة المفتاحيـة والتـي يتـم تكـرار أحرفهـا بعـدد أحـرف الكلـمات التـي سـيتم تشـفيرها:

أخـذ هشـام يتأملهـا بدقـة، كان نظـام التشـفير الوحيـد الـذي صادفـه في هـذا الكتـاب الـذي يصلـح أن تسـتبدل فيـه

الأحـرف العربيـة بالأحـرف اللاتينيـة، أخـرج ورقـة وقلـم وبـدأ في تخطيـط جـدول مشـابه وكتـب بداخلـه الأحـرف العربيـة بـدلًا مـن اللاتينيـة، حتـى انتهـى مـن كتابتهـا بالكامل ليرتسـم أمامـه جـدول مشـابهة للجـدول الأصـلي للشـفرة

أخـرج صـورة الأحـرف المتناثـرة مـن بـين أوراقـه، وبـدأ يتأملهـا بتركيـز شـديد للغايـة، ثـم عـلى ورقـة أخـرى كتـب (لأني أسـتحق) تلـك هـي الكلمـة المفتاحيـة التـي كان يبحـث عنهـا، إنهـا الكلمـة التـي كُتِبَـت وحدهـا بخـط مايسـة شـهدي عـلى ورقـة الملاحظـات الصغـيرة مـع هـذه الأحـرف، بـدأ في تنسـيقها ليعـرف الحـل، وفي النهايـة تكوَّنـت لديـه الأحـرف التاليـة:

(ق ت ل أ ت ذ و م ن ح ط ب ض خ ث غ ف ق ن ق ن د)

نظـر هشـام للأحـرف التـي تكونـت بيـأس شـديد، فهـي لم تسـفر عـن أي معنـى، وخـرج الناتـج لا عائـد منـه، أسـند رأسـه عـلى كفيـه، طلـب فنجـان قهـوة يعينـه عـلى التركيـز، كان يشـعر أن رأسـه عـلى وشـك الانفجـار مـن كثـرة التفكـير. انتهـى مـن فنجـان القهـوة، أعـاد النظـر للمَـرَّة الألـف في أوراق القضيـة حتـى اصطدمـت عينـاه بجملـة (لأنـه تجـرَّأ)، تسـاءل في نفسـه كيـف نسـى أنهـا تصلـح ككلمـة مفتاحيـة في هـذه الشـفرة، أعـاد رصـد الأحـرف المشـفَّرة في مقابـل الكلمة المفتاحيـة الجديـدة حتـى ظهـرت أمامـه الأحـرف التاليـة:

(ق ت ل ت أ ط ف أ ل ي ف ا س ت ح ق ت ا ل م و ت)

«قتلتْ أطفالي فاستحقت الموت»

كادت المفاجأة تذهِب بعقل هشام من السعادة، أخيرًا انقشع ضباب الشفرة وانقلبت الموازين، مايسة ليست هي الجاني الذي يبحث عنه، بل الضحية، يوسف هو الذي دبَّر كل تلك الأحداث من البداية والسبب هو إجهاض مايسة لأطفاله، بقى أن يعرف كيف وأين اختفى يوسف وماذا حدث لمايسة؟.

❊ ❊ ❊

حسن الطيب

طـرق نقيـب عمـر السـيد بـاب مكتـب رائـد هشـام الصـيرفي وانتظـر حتـى سـمع الإذن بالدخـول ففتـح البـاب ودخـل تعلـو وجهـه ابتسـامة رضـا، نظـر لـه هشـام ثـم سـأله متعجِّبًـا:

- ما سر هذه الابتسامة يا ترى؟

جلـس عمـر في المقعـد المقابـل لمكتـب هشـام، وأسـند ظهـره واحتفـظ بابتسـامته:

- خـبر جديـد في قضيـة يوسـف القـاضي يسـتحق مليـون جنيـه.

اعتدل هشام في مقعده مستحثًا عمر على الاسترسال:

- ما هو هذا الخبر؟ تكلم بسرعة.

- منـذ لحظـات حـضر إليّ أحـد رجـالي المكلفـين بإجـراء تحريـات مكثفـة حـول هـذه القضيـة.

- ها، ثم ماذا؟

- أثنـاء قيامـه بهـذه التحريـات دخـل إلى أحـد المحـال القريبـة مـن متجـر يوسـف القـاضي وعـرض صورتـه عـلى العاملـين بالمـكان محـاوِلًا جمـع أي معلومـات حـول يوسـف قـد تفيـد في سـير القضيـة.

سأله هشام في لهفة:

- وما هو الجديد الذي توصَّل إليه؟

عادت الابتسامة ترتسم على وجه عمر وهو يجيب:

- أفضِّل أن تسمع القِصَّة بنفسك.

ثم نهض متجهًا إلى الباب وفتحه وأدخل شاب في بداية الثلاثينات من عمره، قمحي البشرة، بني العينين، طويل القامة ويرتدي الزِي الخاص بمحل تجاري شهير، تأمله هشام ثم توجه لعمر بالسؤال:

- مَن هذا؟

أشار عمر للشاب بالحديث:

- اسمي حسن الطيب، أعمل في تعبئة مشتريات الزبائن في سوبر ماركت.

عاد هشام لتوجيه السؤال إلى عمر:

- وما علاقته بالقضية؟

أجاب عمر في هدوء:

- لقد عرض عليه رجلنا صورة ليوسف وكان لديه تعليق هام.

أشار هشام لحسن بالجلوس وهو يسأله مبتسمًا ليبدو ودودًا رغم احتراقه فضولًا من الداخل:

- ما هو هذا التعليق يا حسن؟

جلس حسن على حافة المقعد:

- صاحب هذه الصورة جاء منذ فترة إلى المحل الذي أعمل به واشترى كميات كبيرة من الطعام المعلَّب بشكل ملفت للنظر، حتى ظننا أنه رُبَّما يكون تاجرًا نظرًا لهذه الكمية الكبيرة.

- ثم ماذا؟

- ما زاد من دهشتنا هو أن مدير المحل عرض عليه أن يتم توصيل هذه الكميات إلى المكان الذي يريده من خلال خدمة التوصيل للمنازل لكنه رفض بشكل قاطع، كما رفض أيضًا أن يساعده أحدنا في توصيل هذه الطلبات إلى السيارة.

- ولماذا تثير هذه الأمور دهشتكم؟

- أولًا: ليس من المعتاد من زبائنا شراء مثل هذه الكميات الكبيرة ولذا فهو أمر من المؤكد أن يثير الانتباه، ثانيًا: طريقته في رفض عرض المدير بتوصيل الطلبات ورفض مساعدته في نقلها للسيارة بإصرار كانت غير معتادة من أي زبائن تشتري كميات أكبر من قدرتهم على حملها منفردين، مما جعل هذا الموقف يعلق في أذهاننا ويثير تساؤلاتنا لفترة بعد هذه الواقعة.

- هل تستطيع تحديد تاريخ شرائه لهذا الطعام؟

- ١٥/ ٦/ ٢٠١١.

ارتسمت الدهشة على وجه هشام:

- لماذا تتذكر التاريخ بهذه الدقة؟ كنت أتوقع أن تبدأ جوابك بكلمة تقريبًا ثم تمنحني مدة زمنية وليس تاريخًا محددًا.

ابتسم حسن في هدوء:

- سبب تذكُّري للتاريخ بهذه الدقة أن هذا اليوم كان هو اليوم السابق مباشرة لحفل خطوبتي.

زالت علامات الدهشة من وجه هشام حينما سمع إجابة حسن ثم شكره على هذه المعلومات وصرفه. جلس عمر في انتظار تعليمات رئيسه الذي أخذ يفكر بعض الوقت ثم قال:

- من الواضح أن يوسف مازال حيًّا وأنه مختبئ في مكانٍ ما.

- لقد خطر ذلك في بالي من الجملة التي ظهرت بعد حل شفرة الحروف المبعثرة، وتأكَّد ظني هذا بعد معلومة حسن الطيب، خاصة أن شراءه لكميات وفيرة من الطعام تنفي فكرة أنه رُبَّما قتل زوجته ثم انتحر.

- إذًا يجب علينا إجراء بحث شامل عنه في كافة الفنادق، والتأكُّد من كل الشقق المفروشة التي تم استئجارها حديثًا في محيط منزله وعمله.

تفكَّر عمر قليلًا ثم أجاب:

- لا أعتقد أنه يمكن أن يخاطر بالتواجد في فندق لأنه سيكون مضطرًا إلى حجز الغرفة باسمه الحقيقي وهو ما يعرِّضه لخطر العثور عليه، لذا أعتقد أنه سيقوم باستئجار شقة مفروشة باسمٍ وهمي.

- معك حق وملاحظتك هي الأقرب للمنطق، لكن لا مانع من اتخاذ الاحتياطات اللازمة والبحث في الفنادق، لأن الشفرة التي تركها لنا يوسف توضح أنه يرغب في تحدينا أن نصل إليه، أو رُبَّما كان يتمنى أن نقبض عليه فعلًا.

- على كل الأحوال سأقوم باتخاذ اللازم في هذا الشأن وسأبدأ بالبحث عن الشقق المفروشة.

- اتفقنا، وانتظر نتيجة البحث في أسرع وقت.

* * *

في مساء نفس اليوم، استطاع عمر أن يصل إلى بيانٍ كامل بالشقق المفروشة التي تم تأجيرها في المناطق المحيطة بمنزل وعمل يوسف القاضي من تاريخ سابق على واقعة اختفائه بشهرٍ كامل. سجَّل هذا الحصر وسلَّمه للرائد هشام الذي راجعه وطلب من عمر التحقُّق من سكان هذه الشقق وإفادته في أسرع وقت.

* * *

يوسف القاضي

أتمت عقارب الساعة دورات ثلاث بعد منتصف الليلة العاشرة من شهر يوليو ومع صوت دقات الساعة ارتفع صوت رنين الهاتف المحمول الخاص بالرائد هشام الصيرفي، ما إن قرأ اسم المتصل حتى غادره النوم في سرعة:

- هل توصَّلت لأي شيء بخصوص السيارة أو مكان اختفاء يوسف؟

لم يندهش النقيب عمر السيد أن هشام يسأله تحديدًا عن سبب اتصاله في هذا الوقت المتأخر من الليل:

- لقد قبضنا على رجل حاول استخدام السيارة منذ دقائق قليلة.

- من هو؟

- لم يكن يحمل أي بطاقات هوية، لكن مواصفاته تكاد تتطابق مع مواصفات يوسف القاضي، وقد أرسلت في طلب عبد الصمد البواب ليتعرف عليه.

- أين هو الآن.

- في القسم.

- سأكون عندكم في خلال ثلاثين دقيقة على الأكثر.

- هناك مفاجأة في انتظارك.

- ما هي؟

- هـذا الشـخص كان بحوزتـه كيـس بلاسـتيكي أسـود يحتـوي عـلى بقايـا بشريـة.

- ماذا؟، هل تظن أنها بقايا زوجته مايسة؟

- سنعرف من خلال تقرير الطب الشرعي.

أغلـق هشـام الهاتـف دون كلمة إضافيـة وأسرع إلى القسـم، مـا إن دلـف عـبر البـاب الرئيـسي حتـى هـبَّ الجنـود بالتحيَّـة العسـكرية اللائقـة، أرسـل في طلـب معاونـه عمـر فـورًا، الـذي دخـل عليـه دون أن يطـرق البـاب وجلـس:

- لقد تعرَّف عبد الصمد على ضيفنا.

- هل هو يوسف القاضي؟

- نعـم هـو، رغـم أنـه أطلـق لحيتـه وأصبـح أكثـر نحافـة مـن ذي قبـل.

- هاته فورًا.

أسرع عمـر وعـاد بصحبتـه يوسـف، حـدق بـه هشـام طويـلًا ثـم نظـر إلى عمـر:

- ذكرني يا سيادة النقيب أين وجدتم السيارة؟

- أمـام العقـار رقـم ١١ وهـو العقـار الملاصـق لسـكن يوسـف.

تفكـر هشـام لأقـل مـن دقيقـة، تذكـر خلالهـا الأرقـام

التي كتبت على المرآة (٢٤/ ٦/ ١١)، ثم البيان الذي أعدَّه عمر بحصر الشقق، لقد افترض الجميع أن هذه الأرقام هي تاريخ خاص، وأن اختفاء مايسة حدث يوم ٢٤/ ٦/ ٢٠١١، توجَّه ببصره إلى عمر من جديد:

- كم يبلغ عدد أدوار هذا العقار؟

- ستة أدوار، لماذا؟

أخرج هشام من درج مكتبه الكشف الذي أعده عمر بحصر الشقق المفروشة في محيط منزل يوسف، ومن بينها الشقة رقم ٢٤ في العقار رقم ١١ وهو العقار الذي وجدت السيارة المستأجرة أمامه.

- أريد حالًا إذنًا من النائب العام بتفتيش الشقة رقم ٢٤ بالدور السادس بالعقار رقم ١١ بشارع المستشفى.

غمز لعمر بعينه وهو يضيف:

- ٢٤/ ٦/ ١١، لم تكن تعني أي تاريخ وإنما كانت تعني الشقة رقم ٢٤ بالدور السادس بالعقار رقم ١١، تلك الفكرة التي خطرت ببالي حالًا مع تذكُّر أرقام الشقق المستأجرة مؤخرًا.

لمح هشام شيئًا من الاضطراب على ملامح يوسف القاضي فابتسم في داخله، هذه العلامة مؤكدة على أن حدسه صحيح، خرج عمر من المكتب لتنفيذ طلب

هشام تاركًا يوسف. تأمل هشام ملامح يوسف الجامدة، لحيته التي طالت بلا تهذيب، عظام خديه التي برزت دالة على قلة الطعام، الهالات السوداء التي احتلت أسفل عينيه منبئة عن قلة نوم، قام هشام من مقعده، دار حول يوسف يتأمله حتى واجهه من جديد، نظر مليًا إلى عينيه الغائرتين، تنهَّد بعمق:

- أخيرًا التقينا.

- .....

لم يهتم هشام بصمت يوسف:

- أين كنت؟

- .....

ابتسم هشام في ثقة:

- صمتك لن يدوم طويلًا صدقني، مازال لدينا وسائلنا لحثك على الكلام.

نظر يوسف في عيني هشام بثقة ثم أشاح ببصره، عاد هشام إلى مقعده، أخرج صورة مرآة حجرة نوم مايسة بالأحرف التي كُتِبَت عليها، نظر إلى يوسف:

- قتلتْ أطفالي فاستحقت الموت.

نظر إليه يوسف وعلى وجهه علامات التعجُّب ثم

أشاح ببصره من جديد، فقال له هشام:

- كانت لعبة جيدة، لكنك خسرت في النهاية.

- ومن قال أني كنت أبحث عن الربح.

- لهذا تركت وراءك هذه الجملة؟

- .....

- لقد تعمدت أن تترك لنا رسالة لنصل إليك في النهاية، لكن لماذا؟

- .....

- الصمت لن يفيدك كثيرًا.

- صمتي لأنك لا تسأل عمَّا يستحق الإجابة.

كان في نبرة صوته رنة تحدي، جعلت هشام يقف في مواجهة يوسف وفي عينيه تحدي أكبر:

- لقد قتلت مايسة لأنها أجهضت نفسها، انتقمتَ منها لأنها قتلت أطفالك.

- من المؤكد أنك تعرف ذلك.

- لكن كيف عرفت أنت؟

- عدت الآن إلى الأسئلة التي لن أجيب عليها.

شعر هشام بشيء من التوتر، أطرق قليلًا محاوِلًا أن يجد المفتاح الذي سيدفع يوسف لفتح خزينة أسراره، كان

عقلـه يعمـل بسرعـة جنونيـة ليجـد الوسـيلة المناسـبة لحـث يوسـف عـلى الحديـث، أجلسـه ثـم جلـس في المقعـد المواجـه لـه وفي هـدوء لا يتناسـب مـع اشـتعال عقلـه:

- أدرك دوافعك، لكن ...

قاطعه يوسف في حدة:

- أنت لا تدرك شيئًا، لا تعرف عَنِّي أي شيء.

- بـل أعـرف أكثـر ممـا تتوقـع، أعـرف أنـك نشـأت في دار لرعايـة الأيتـام، وأنـك كافحـت بمـرارة لتحصـل عـلى شـهادة جامعيـة في الوقـت الـذي كنـت تعمـل فيـه، ثـم أنشـأت مشروعـك الخـاص ثـم تزوجـت ثـم ...

عاد يوسف ليقاطعه وصوته أكثر حدة:

- أحفظ تاريخي أكثر مما تحفظ.

صمـتَ هشـام ولم يعلِّـق، تنهـد يوسـف ثـم رفـع بـصره ليواجـه هشـام وبصـوت مهـدود:

- نعـم، لقـد نشـأت في دار لرعايـة الأيتـام، مجهول النسـب، لا أعـرف لي أمًـا أو أبًـا، منحنـوني في الملجـأ اسـمًا واسـم عائلـة (يوسـف القـاضي)، عشـت هنـاك حتـى بلغـت الثامنـة عـشر، وحتـم القانـون أن أغـادر، حتـم القانـون أن أواجه الحيـاة طفلًا بـلا سـلاح، بـلا مـال، بـلا عائلـة، بـلا وظيفـة، ألقـاني القانون إلى فـك الحيـاة بـلا رحمـة، صارعـت المـوت جوعًا حتـى عثرت

على عمل، صارعت الجهل أيضًا حتى انتزعت منه شهادة جامعية، كنت أعمل وأدرس في نفس الوقت، اشتغلت لدى أحد التجار في متجره الصغير بأحد الأحياء الشعبية، لم أكن أكسب كثيرًا، لكني كنت أتعلم كثيرًا جدًّا، وبعد عامين توفي الرجل، وقرر ورثته بيع المتجر لأجد نفسي في الشارع من جديد، تنهشني الوحدة، ويتلاعب بي اليأس، حتى استطعت الحصول على عمل آخر في متجر أكبر ونلت محبة الجميع لأدبي ونشاطي واجتهادي. بدأ المال يعرف طريقه إلى جيبي ومنه إلى حساب صغير في البنك، كان حلمي وقتها أن يكون لي أسرة وعمل يخصاني وحدي، وحينما تكونت لدي المدخرات اللازمة لافتتاح متجري الخاص، أسرعت فورًا في التنفيذ ليتحقق أحد أحلامي، وبدأت في السعي وراء حلمي الآخر (الأسرة) تعرضت لرفض طلبي عدة مرَّات من أسر مختلفة بسبب نشأتي في الملجأ وعدم رغبة الآباء في تزويج بناتهم من رجل (ابن حرام) أو في صيغة مهذبة (مجهول النسب)، وكأنني من تسبب في هذا الخطأ، إلى أن وُفِقت لاختيار عروس مناسبة بعد أن قررت إخفاء معلومة نشأتي. تزوجنا سريعًا وكلي سعادة وأمل أن يرزقني الله بأطفال أعوض بهم حرماني من دفء العائلة، لكن الله قدَّر أن تتوفى زوجتي بعد عام واحد من زواجنا في حادث سيارة أثناء خروجها للتسوق،

الأسوء أنها كانت حامل في الشهر السابع، كنت مسافرًا إلى الإسكندرية في هذا التوقيت من أجل بعض الأعمال، أصابني الحزن الشديد حتى كدت أموت، وتوقفت لفترة عن الأكل والشرب حتى دخلت المستشفى، إلى أن قررت مواجهة الحياةمن جديد واستئناف معركتي مع الدنيا مَرَّة أخرى، وأخذت أبحث في شغف عن عروسٍ أخرى حتى أحقق حلمي قبل أن أموت، خاصة وأن سنوات عمري بدأت تقترب من الأربعين حتى قابلت مايسة واتفقنا على الزواج سريعًا وتم لنا ذلك، ومرت ثلاث سنوات من عمر زواجنا عامًا تلو الآخر بلا حمل أو بادرة أمل. ذهبنا لأكثر من طبيب وجميعهم أكدوا عدم وجود موانع للحمل وأن الصبر هو أملي الوحيد، كدت أجن وعمري يهرول مِنِّي ويبحر حلمي مبتعدًا عن أرض الواقع، حتى رضيت بقضاء الله وقررت التوقف عن زيارات الأطباء والتسلُّح بالصبر والإيمان بقدرة الله عز وجل. وفي أحد الأيام عثرت مصادفة في المنزل على تقارير طبية وأشعة تلفزيونية وتحاليل تحمل اسم زوجتي بتاريخ قريب ظننت أنها رُبَّما تكون قد حملت جنيني الأول وأرادت أن تفاجئني إذا تأكدت فهرعت إليها أسألها لكني فوجئت بها ترتبك بشدة وتخطف الأوراق من يدي حتى تمالكت أعصابها وتدعي بعد ذلك أنها تحاليل عادية تحاول بها تحقيق

حلم الإنجاب، لم أشعر بصدق كلماتها وهالني اضطرابها وارتباك كلماتها وثارت في عقلي الشكوك، كنت قد قرأت اسم معمل التحاليل على المظروف فقررت أن أسأل هناك عن الأمر، وعرفت منهم بعد إلحاح شديد، وبعد أن أثبتُّ لهم أني زوجها، أن هذه التحاليل هي تحاليل روتينية بعد عمليات الإجهاض، مادت بي الأرض وشعرت وقتها بطعنة نافذة في قلبي. خبأت عنها معرفتي بالأمر وبحثت كما المجنون في كل متعلقاتها دون أن تعلم، حتى توصلت إلى اسم الطبيب الذي أجرى لها عملية الإجهاض وأبلغني بأنها لم تكن المرة الأولى لها بل كانت الثانية، وأن تكرار عمليات الإجهاض كاد يؤثر على صحتها، لهذا طلب منها هذه التحاليل، وطلب مني نصحها بعدم تكرار هذه العمليات لما لها من خطورة على حياتها وعلى فرصها في الإنجاب مستقبلا، وأنه لا داعي لتأخير الإنجاب أكثر من ذلك.

هنا أدركت أنه لم يكن يعرف أنها تجري هذه العمليات دون علمي، شكرته وانصرفت ورغبتي في الانتقام تحرقني وتأكل عقلي، فقررت قتلها لكن رغبت ألا أدخل السجن في هذه القاتلة المجرمة، لهذا اتخذت قرارًا أن قتلي لها يجب ألا يثير ضدي الشبهات..

صمت يوسف فاستحثه هشام على الاستمرار:

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- في هـذا اليـوم وجدتهـا تقـرأ كتابًـا عنوانـه «أسـاطير المرايـا»، لقـد قـرأت هـذا الكتـاب مـن قبـل وهـزأت بـه، لكنـه أرشـدني إلى الطريقـة التـي أبعـد نفسي بهـا عـن حبـل المشـنقة وبـدأت في تنفيـذ الفكـرة، اسـتأجرت شـقة في العمـارة الملاصقـة لنـا كان صاحبهـا يؤجرهـا مفروشـة، طبعـا بِاسـم وهمـي ولم يدقـق كثـيراً في هويتـي بعـد أن عرضـت عليـه مبلغًـا كبـيرًا، ولم يكـن يعـرف شـخصيتي الحقيقيـة، ولا يعـرف أني جـاره بطبيعـة الحـال لأنـه لم يكـن يقيـم في الجـوار واشـتريت مـن أحـد المحـال كميـات وفـيرة مـن الأطعمـة المعلَّبـة توطئـة لاختفائـي حتـى لا أضطـر للخـروج مـن الشـقة فـيراني أحـد.

وفي اليـوم المحـدد اشـتريت شـبابيك حديديـة وركبتهـا على نوافـذ الشـقة ووقفـت مـع النجـار وهـو يقـوم بتركيبهـا حتـى أتمكـن مـن إزالتهـا بسـهولة بعـد ذلـك، واشـتريت حبـلًا قويًّـا وخبأتـه في الحـمَّام، وفي الليـل دلفـت إلى الحـمَّام وأغلقـت الباب مـن الداخـل، أشـعلت شـمعتين بجـوار المـرآة وجرحـت نفسي وكتبـت بدمائـي عبـارة: (لأنـه تجـرَّأ)..

في الحقيقـة لم تكـن هـذه الرسـالة موجهـة لكـم لتؤثـر عـلى سـير التحقيـق، لقدكانـت موجهـة لهـا حتـى يصيبهـا الرعـب وتفقـد القـدرة عـلى التفكـير؛ لأنهـا تؤمـن بمثـل هـذه الأشـياء، ثـم أزلـت الشـباك الحديـدي بعـد فـك مسـاميره

وباستخدام الحبل تعلقت بسور السطح من خارج الشباك بعد أن جهزت لذلك مقبضًا حديديًّا بالسور الموجود بسطح العقار وقمت بإعادة الشباك وأنا معلق بالحبل، ثم تسلقته إلى السطح وأزلت المقبض الحديد من سور السطح.. ثم اتجهت إلى العمارة المجاورة قاصدًا الشقة التي استأجرتها، وانتظرت هناك عدداً من الأيام حتى تهدأ العيون حول المكان، بعد ذلك وفي التاريخ الذي تركته لكم وهو نفسه رقم الشقة والدور والعقار الذي أختبئ به. وفي الصباح الباكر صعدت إلى سطح العمارة ومنه إلى سطح عمارتي وهبطت على السلم ودخلت إلى الشقة، بالطبع ما إن رأتني حتى أصابها الرعب ولم تستطع الكلام، أجبرتها أن تكتب عبارة (لأني أستحق) على ورقة الملاحظات وجرحتها وأجبرتها أيضاً أن تكتب تلك الأحرف المبعثرة على مرآة حجرة النوم ثم خدرتها وأشعلت الشموع بجوار مرآة حجرة النوم وهيأت الأمر في شكل تلك الطقوس السحرية وحملتها إلى السطح ومنه إلى الشقة الأخرى وقيدتها.

- ثم ماذا؟، أكمِل يا يوسف، لا تتوقف.

- حاولت أن أعرف منها سبب إجهاضها المتكرر ولماذا أخفت عَنِّي الأمر.

- وهل أخبرتك؟

- نعم.

- ماذا قالت؟

- قالت إنها لم تكن تعرف أني مجهول النسب وأنها علمت بذلك مصادفة بعد أن اكتشفت أني كنت متزوجًا قبلها وحينها قررت ألا تنجب مِنِّي أطفالًا لأنها لم تعد تشعر بالأمان في علاقتنا لأني كذبت عليها ولأني ابن حرام على حد قولها، وأنها كانت ترغب في الحصول على الطلاق لكن كانت تنتظر الوقت المناسب.

- متى تحديدًا وصلتها هذه المعلومة؟

- في بدايات زواجنا.

- ولماذا انتظرتْ ثلاث سنوات دون طلب الطلاق؟

- قالت إنها كانت تخاف مِنِّي وتخشى رد فعلي.

- ثم ماذا؟

- لا شيء، قتلتها وبدأت التخلُّص من أجزاء جثتها مستخدمًا السيارة التي استأجرتها لهذا الغرض، وكنت أحرص على فعل ذلك بعد الثانية صباحًا حتى لا يراني أحد حتى ألقيتم القبض عليَّ.

- أخبرني من الذي استخدم السيارة على طريق القاهرة الإسكندرية في التوقيت الذي كنت فيه بالمحل.

- صديق لي، لكنه لا يعرف شيئًا عن الموضوع، لقد

كانت مصادفة غير مقصودة، كان يرغب في استعارة سيارتي للسفر إلى الإسكندرية ووقتها خطر في بالي أن تسجيل دخولها وخروجها على الطريق الصحراوي قد يفيد في إبعاد الشبهات عَنِّي.

طرق النقيب عمر الباب ودخل إلى حجرة المكتب:

- لقد حصلنا على إذن النائب العام لدخول وتفتيش الشقة.

نظر له هشام ثم أردف:

- اصطحب يوسف ليدلي بأقواله في محضر رسمي، وأرسل أوراق القضية إلى النيابة.

(تمَّت)

* * *

شكر واجب

- زوجتى الحبيبة لدعمها المتواصل ونصائحها القانونية.

- صديقي العزيز / محمد الجيزاوي.

- بنت تونس الخضراء، بنت الإسكندرية.

- أخي الكبير / محمد سامي.

القاهرة في: ٢٠١٣/١٢/٢١

محمد فاروق الشاذلي

rouaame@gmail.com

الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm